مداخـــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية

بسم الله الرحمن الرحيم و الحمد لله رب العالمين و به نستعين

الملتقى الدولي

الرواية الجزائرية بين الخصوصية و العالمية

جامعة جيجل – الجـــزائـــر

أيام : 17–18 – 19 أفريـــل 2016 م .

محور البحث الثاني : التراث المحلي الجزائري و الرواية كطريق للعالمية .

عنوان البحث : جينوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية .

إعداد الأســـتاذة : سهيلة بن عمر

جـــامعة حمّه لخضر الوادي – الجـــزائر

مداخـــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النـسوية الجزائرية

Abstract

This study deals with the genome of the local phenomenon in six Algerian novels feminist, by monitoring the relationship between the local in places and customs and traditions and daily rituals that relate to the individual Algerian, and what you open these formats from entering into the global doors that Bomber privacy and that reflect the aesthetics practices CV and the beauty of the margin in exchange for center.

الملخص :

تتناول هذه الدراسة جينوم الظاهرة المحلية في ستة روايات نسوية جزائرية ، من خلال رصد العلاقة بين المحلي في الأمكنة و العادات و التقاليد و الطقوس اليومية التي تتعلق بالفرد الجزائري ، و ما تفتحه هذه الأنساق من الدخول في أبواب العالمية التي منفذها الخصوصية و التي تعكس جماليات الممارسات الذاتية و جمال الهامش في مقابل المركز .

مقدمـــــة :

تحدث الكاتب الأرجنتيني ' خورخي لويس بورخيس ' عن خرافة المحلية ، مُنتقداً فكرة المحلية ، حيث لم يقتصر نقدهُ على الأعمال الأرجنتينية ذات الطابع المحلي ، إنما انتقد أيضاً كتبهُ الأولى التي قال عنها إنها جديرة بأن تُنسى " لأنها تغص بالمحلية " [1] .

من جهة أخرى يأتي قول القاصة و الروائية الجزائرية ' عائشة بنور ' في إحدى الحوارات مُنافياً و معاكساً لما جاء به قول الكاتب الأرجنتيني ' خورخي لويس بورخيس ' ، و الذي مفاده قولها : " لا أريد الذوبان في الآخر باسم الحداثة أو باسم العولمة ، أريد أن أسوق لخيمتي و لزربيتي و لجلابة أبي و عمامته و فنتازيا الفروسية و لحكايات جداتي و كانون الجمر و وشم أمي و لعلمائي و لقلاعي و حصوني و أنغامي باختصار لتراثي و آثاري و لا إنسانيتي ... لتاريخي ... (و هذا ما جسدته في كل مؤلفاتي سواء القصصية أو الروائية) ، أريد أن ينتصر مورثنا الثقافي و الاجتماعي في الآخر باسم الحداثة التي أوتي بما أنا امرأة تربت على قيم و مبادئ طيبة و إنسانية ، ترعرعت وسط تراث اجتماعي جميل أسعد الافتخار به ، و أن أصنع من رموزي ذاكرة للحاضر و المستقبل ، ماضي حافل بالبطولات الخالدة و الخيبات أتجاوزها و أقف عندها كمحطة للاعتبار و الكاتب ابن بيئته و مرتبط بالمكان و الثقافة التي ينبع منها لنقل موضوعاته و واقعه الخاص إلى العام إلى العالمي ، كما يتفنن الآخر في إبرازها بإسم الهوية و إعادة تشكيلها في قوالب جديدة مشكلتنا أننا أمة تقتل رموزها و لا تُقدر مثقفيها و لا تفتخر بموروثها . " [2] .

مداخـــــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية

بين هذين الرأيين نحاول تأسيس ورقتنا البحثية التي عنوناها بـــ : " جينوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية " ، لنطرح العديد من التساؤلات و الإشكاليات المتعلقة بالنص الروائي و علاقته بالبُعد المحلي و التراثي و الحضاري ، لتركز بشكل أكبر على النص الروائي النسوي الجزائري و علاقته بهذه الأبعاد و توظيفها في صوغ المادة السردية النسوية و مزجها بخصوصية محلية قارة .

و قبل الولوج في طرح الأسئلة و الإشكاليات يهمنا الوقوف على علاقة الخطاب الروائي بشكل عام و صلته بعناصر التراث الشعبي و المحلي ، حيث يعدُّ الأدب ثمرة الحضارة و نتاج للاستقرار المادي و الأدبي في أي مجتمع ،كما أن الأدب وثيقة تاريخية تحفظ تراث الأمة التي أنتجت ذلك الأدب فلا غرو إذ نظرنا بمنظار القومية و الخصوصية و المحلية إلى أدب أية أمة ، لأن الأدب مرآة العصر روح الأمة التي أنتجته ، فيه نجد آمالها و آلامها ، خيرها و شرها ، و ميسمها الذي وسمها به الدهر لأن كل شعب له عاداته و تقاليده و مزاجه و ذوقه و تجربته الإنسانية .

من هذا المنطلق ، و من خلال قراءة المشروع الروائي العربي من بداياته إلى تأسيسه و تأصيله و تجريبه ، يتبين لنا أن هذا المشروع قد تحددت بواعثه ، من خلال منطلقين التمس الروائي مساره من خلالهما:

- **توظيف تراث البيئة المحلية .**
- **توظيف الأشكال التراثية السردية القديمة .**

و بين هذين المستويين اختلف الروائيون في توظيفهما ، و التركيز على أحدها دون الآخر ، و إن كان في متابعة تطور الرواية العربية و التماس صيرورتها التاريخية ما يعكس أسبقية مرحلة توظيف البيئة المحلية على نظيرها مرحلة توظيف الشكل التراثي السردي ، هذا الأخير الذي تأخر في الظهور كتيار أشتغل عليه جل الكُتاب العرب خلال بدايات حقبة السبعينيات التي توجت الخطاب الروائي العربي بالتوجه نحو تيار الوعي و السير على خط الواقع و تصويره و الإلمام بالمتغيرات التي ألمت بالوضع العربي في جميع المجالات (الإنسانية و الاجتماعية و الأخلاقية و الاقتصادية .....) ، خلال حقبة السبعينيات و ما بعدها ، لتبرز الرواية الواقعية كلون تلونت به الرواية العربية لأمد طويل بعد تخلصها من سيطرة الاتجاه الرومانسي و المعالجات العاطفية لمختلف المواضيع في أغلب النصوص الروائية العربية قبل السبعينيات .

و قد سعى أغلب الروائيون من خلال سلك الاتجاه الواقعي و نقل واقعهم بجميع تفاصيله الزمانية و المكانية كمادة حية و خصبة في نصوصهم السردية التي صورت البيئة المحلية بعناصرها الشعبية و خلفياتها التراثية ، و ملامحها الفلكلورية و مخزونها من الحكي الشعبي القديم الذي اختلف من نص لآخر و من بيئة لأخرى ، ليقدم لنا أساطين الرواية العربية ذات الاتجاه الواقعي نصوص محلية

مداخـــــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية

مختلفة حسب اختلاف البيئة التي ينتمي لها الناص فقد تمظهرت الحارة المصرية بمختلف تجلياتها و وقائعها في نصوص الروائي المصري ' نجيب محفوظ ' مثل رواية " زقاق المدق ، اللص و الكلاب ، و خان الخليلي ، و القاهرة الجديدة " ، و نصوص القاص محمود تيمور مثل " شفاه غليظة ، و الوثبة الأولى ، و سلوى في مهب الريح " ، من جهة أخرى أبرز الأدباء السوريون الحياة في بلاد الشام بأسواقها و شوارعها الدمشقية العريقة التي تطوي نهارات صاخبة بين جنابتها و ليالي آسرة تُثير الخيال و تُغري القارئ للإطلاع على هذه الفضاءات الحميمة ، مثل ما نلمسه في روايات الروائية السورية ' هيفاء البيطار ' " يوميات مطلقة 1994 ، قبو العباسيين 1995 ، امرأة من هذا العصر 2006 ، أبواب موارية 2007 " ، كما نختبر أجواء أخرى للبيئة السودانية التي نقلها الروائي السوداني ' الطيب صالح ' بامتياز في نصوصه الروائية لنلمس بساطة الفرد السوداني و علاقته بالموجودات و رؤيته للحياة التي تُختصر في أمسيات طويلة تُؤثثها أحاديث أهل القرية و كؤوس الشاي على مصاطب فناء البيت ، و يظهر ذلك بشكل مُلفت في أغلب رواياته نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر منها رواية " عرس الزين ، دومة ود حامد ، موسم الهجرة إلى الشمال ، ضو البيت بندر شاه ، و مزيود بندر شاه ، و نخلة على الجدول " لتطغى على هذه النصوص عوالم القرية السودانية و سحرها ليقدمها الطيب صالح كنموذج محلي يُقارع النماذج الحضارية التي أفرزتها الرواية الأجنبية ، و من هذا المنطلق لم يكتفي الروائي الليبي ' إبراهيم الكوني ' بتقديم البيئة الليبية المقتصرة في جوانبها الإنسانية أو الاجتماعية ، بل أرسى لـ عوالم الصحراء الليبية الكبرى و ما تشمله من عادات قبلية و تراث عقائدي و إثني متمثل في كل ما يتعلق بقبائل الطوارق و ممارساتهم و طقوسهم الحياتية و الجمالية ، التي أعطت لنصوص الكوني خصوصية مائزة وُسم بها دون عن غيره من الكتاب الروائيين الليبين أو حتى العرب ، و ننتبين ذلك في رواياته المعنونة بـ : " رباعيات الخسوف 1989 التي ضمت أربع أجزاء منها (البئر ، الواحة ، أخبار الطوفان الثاني ، و نداء الواقواق) ، رواية المجوس التي ضمت جزءان 1992/1990 ، رواية فرسان الأحلام القتيلة 2012 ، رواية ناقة الله 2015 " و غيرها من الأعمال التي لم تخرج عن سرد الصحراء و تمثيل العالم الطوارقي الأمازيغي ، الذي يحاول الحفاظ على هويته في زمن العولمة و التحولات و الانفتاح .

و على هذا الأساس ، تحاول الرواية العربية خلق خطاب روائي يعكس هوية الواقع العربي و يمثل جوانبه الحضارية و المحلية و العقدية و العرفية ، التي من شأنها أن تطبعه بطابع الخصوصية و التفرد الإبداعي الذي يفتح أمام نصوصنا الدخول إلى العالمية من أوسع أبوابها و حيازة التكريم و التتويج في أكبر المحافل الأدبية العالمية ، من هذا المنظور و المنطلق الذي يُعزز اكتشاف العالم لبيئتنا المحلية و الاحتفاء بالذاكرة التاريخية و الأساطير و الحكايات القديمة و الأخبار التي نسجتها الجدات و رواها الأجداد للأبناء و الأحفاد بشكل حميمي و تعليمي في نفس الوقت ، و هذا ما تبنته أغلب النصوص الروائية العربية بشكل عام و الرواية النسوية بشكل خاص ، التي حاولت خلق منجز روائي قائم على فضاء المحلي و التراثي و الشعبي و الغرائبي ، و تبني الشرط التاريخي و الاجتماعي و الثقافي .

مداخـــــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية

و نلمس ذلك في أغلب النتاج الروائي النسوي العربي حتى لا تعدُّ أن تكون علامة فارقة و قارة تميز الرواية النسوية العربية لا كظاهرة عارضة و متغيرة ، لا مجرد محاكاة بل كمكسب تراهن عليه الروائيات العربيات في كل إصدار روائي جديد يصدرونه ، إن كان من خلال التركيز على توظيف البيئة المحلية و الاشتغال على توظيفها بالقليل أو الكثير ، و لنضرب على ذلك مثالاً ، الروائية السعودية ' رجاء عالم ' التي مثلت رواياتها أطلساً شاملاً للبيئة المحلية لبلاد الحجاز و ما جاورها من بلدان الخليج العربي منها " رواية طريق الحرير 1995 ، و سيدي وحدانة 1998 ، و خاتم 2001 " ، هذه الروايات التي مثلت المدينة المكية و شوارعها الخلفية و تصوير حياة العائلات القاطنة فيها ، و روايات ' ميرال الطحاوي ' مثل " الخباء 1996 ، نقرات الظباء 2002 " ، التي صورت بادية الصعيد المصري ، من خلال العقائد الراسخة في وجدان الشخصية البدوية – القروية ، التي لم تعرف فكاكاً منها ، كما حفلت الرواية النسوية المغاربية و الكشف عن نمط الحياة فيها و تأسيس مسرد بتاريخ الفرد المغاربي الأصيل ، و وشم نصوص روائية بذاكرة مغاربية و أنماط لهجية متنوعة ، و توظيف الخيال الشعبي و جماليات التراث الحضاري و الثقافي و الإنساني الذي تُعرف به البلدان المغاربية دون استثناء ، و المثال على ذلك رواية " عزوزة 2010 " للروائية المغربية ' الزهرة رميج ' ، هذه الرواية التي تُعدُّ بحق رواية سرمدية لملحمة الذات المغربية نسقاً و سياقاً ، و التي بلورتها الزهرة رميج بعيون الأنثى الحريصة على حصر جميع الجوانب بتفاصيلها الحية ، من خلال شخصية " عزوزة " ،و تؤكد ذلك باقترابها من هذه العوالم من خلال قولها : " ظلت البادية تسكنني ، فأردت إبراز عوالمها و قيمتها ، و الاحتفاء بتراثنا الشعبي لأنه يميزنا ، كشعب له حضارته الخاصة و أصالته ، عن بقية الشعوب ، التي تحاول العولمة جاهدة طمس هويتها فقد أدخلت الأمثال الشعبية في معظم الحوارات ، و وظفت بعض الأغاني و الحكايات الشعبية ، كما احتفيت بالأزياء ، و طرق الزينة ، و تحضير الشاي ، و ما إلى ذلك من العادات الجميلة و أعتقد أن شخصية عزوزة هي النموذج الحقيقي للمرأة المغربية الأصيلة . " [3] ، و رواية " طرشقانة " للروائية التونسية ' مسعودة أبوبكر ' التي سلطت الضوء على الحومة العربي التونسية و أجواء العرس التونسي و الدار أو الحوش التونسي ، و رواية " نساء الريح " 2012 للروائية الليبية ' رزان نعيم المغربي ' التي احتفت بالمجتمع الطرابلسي و نمط عيشه الذي يحوي مفارقات و متناقضات عديدة ، إبرازاً للمناحي الهامشية .

و ما ينسحب على الرواية النسوية العربية و المغاربية ، ينطبق على الرواية النسوية الجزائرية التي تحاول أن تشق طريقها نحو التطور و التأسيس لخط روائي قائم بذاته ، رغم أن بدايات الرواية النسوية الجزائرية متصلٌ بوشائج عِدَّة و إرهاصات مختلفة ، حيث لم يكن ظهور الرواية النسوية الجزائرية وليد الصُدفة بل وليد تجارب و مراحل مرَّ بها هذا الفن الروائي الذي يُدين في ظهوره إلى أشكال الكتابة النسوية في المغرب العربي و تنوعاتها المتعددة ، و التي ألقت بظلالها على الساحة الأدبية و الثقافية المغاربية بعد نشوب الحرب العالمية الثانية من خلال نشاط النخبة النسوية المثقفة في إطار الحركة النسوية الإصلاحية بالجزائر. [4] ، و غيرها من الدول

مداخـــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية

المغاربية ، التي دافعت عن قضايا المرأة في المجتمع و وضعها المُزري في ظل السياسة الاستعمارية الاضطهادية عبر تفعيل الساحة الاجتماعية مع مراعاة التفاوت بين دولة و أخرى في خوض تجربتها التحررية ، بامتهان وظائف و مهن حيوية كالتدريس و الطب و الإدارة ، إلى جانب الاشتغال على عمليتي الكتابة و النشر في مختلف الصحف و الجرائد الناشطة في تلك الآونة .

و قد اتخذت هذه الكتابة ألوان تعبيرية و فنية متعددة ،ككتابة المقال الصُحفي و القصة ونظم الشعر و كتابة النص المسرحي ، و الإسهام في تذويت هذه الأقلام بذات أنثوية لها سماتها و انشغالاتها التي حاولت وسم الكتابة النسوية بسمة الحضور و إن كان حُضوراً نسبياً في الساحة الأدبية الجزائرية التي عرفت مناخات سياقية خاصة مختلفة في سياقها العام عن ما عرفته مختلف دول المشرق العربي ، من ظروف توترية متعلقة بـالسياسة الاستعمارية الفرنسية التي استعبدت المرأة و استبعدتها من نسق القيم و من مواقع القرار ،و غيبتها في غياهب الجهل و الأمية كي لا يقوم لهذه الأمة أي قائمة باعتبار المرأة و تدها الذي تقوم عليه .

و إن كانت جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين– على سبيل المثال – برئاسة الشيخ عبد الحميد ابن باديس خلال ثلاثينيات القرن العشرين ، قد حاولت كسر هذه النمطية التي أنزلت المرأة منزلة الكائن القاصر العاجز و ذلك بالالتفاف حولها و العمل على دمجها ، من خلال منحها فُرص التعليم و التدرج في مراحله و تكوينها معرفياً و ثقافياً ؛ فدأب ابن باديس و غيره على ترقية و ضعها و إنشاء "أقسام خاصة لتعليم البنات في مدرسة التربية و التعليم بمدينة قسنطينة و في كل مدارس جمعية العلماء المسلمين على مستوى التراب الوطني كدار الحديث بتلمسان ، مدرسة الفلاح بوهران ، مدرسة التربية و التعليم ، مدرسة الشبيبة الإسلامية بالجزائر العاصمة ." [5] ،كما حرصت جمعية العلماء المسلمين ، من خلال أعلامها و عُلماؤها ببث الوعي في عقول الأهالي الجزائريين لإرسال بناتهم لطلب العلم و التنوير ، عبر نشر " المقالات التشجيعية التي كتبتها و التي تحض على التعليم و الاعتناء بالفتاة ، المرأة ، خاصة البصائر ، المنتقد ، الشهاب ، التي لعبت و قامت بهذا الدورّ ، أمام حِرص بن باديس و مُراقبته المستمرة حتى آخر لحظة من حياته." [6] ، فشهد في حياته " تخرج أول فوج نسوي في مدرسة التربية و التعليم بمدينة قسنطينة عام 1938م ثم شرع في إعداد لإرسال المتخرجات إلى مدرسة دوحة الأدب بدمشق ليواصلن دارستهن الثانوية 1939- 1940 و من بين أعضاء الوفد المبعوث : نعناعه ونيسي ، حليمة ونيسي ، سليمة حافظ بنت مدير المدرسة." [7] .

و هؤلاء وغيرهن استشعرن وجودهن الحقيقي عقب اندلاع الثورة التحريرية المباركة (1954-1962م) ؛ إذ شهدت الساحة الثقافية بالجزائر ظهور حركة ثقافية سنة 1954م على صفحات جريدة البصائر و بروز أهم قلم نسوي جزائري تمثل في الكاتبة زهور ونيسي التي قدمت نموذجاً مُغايراً للنموذج النسوي السائد آنذاك – النموذج المثقف المحافظ ، الواعي – الذي أسهم في تفعيل القضية الوطنية و إبرازها من وجهة نظر أنثوية تستشف مكابدات المرأة و معاناتها التي عاشتها في أتون الثورة التزاما من الكاتبة

مداخـــــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النـسوية الجزائرية

بقضايا المرأة و المجتمع ، على الرغم من أن كتابة المرأة آنذاك كانت تعيش ظروفاً مُناوئة لاستمرارها ، لعلَّ أهمها الوضع الاستعماري الذي عاشته الجزائر و الأثر التغريبي الذي مارسه المستعمر على كيانها الإسلامي و العربي ، و تَحكُّم بعض الذهنيات الضيقة في وضع المرأة الجزائرية و طريقة النظر إليها ، كما لم يكن وضع المرأة الأدبي و الثقافي مُستقلاً في ذلك الحين لاحتكامه لمجموعة من الظروف و العوامل القهرية ، وفق ذلك مرَّ الأدب النسوي في الجزائر بمرحلتين [8] :

- **مرحلة أولى ظهر فيها المقال نتيجة انتشار الثقافة الصحفية لسهولة التعبير فيها ، و لقربها من مشاعر و ذهن القارئ.**
- **ظهور مرحلة المحاولة القصصية ، و كانت الموضوعات المعالجة متنوعة فمنها: التاريخية ، و الثورية ، و الاجتماعية ، و الذاتية ، و غيرهن من المواضيع المستقاة من واقع و عمق المجتمع الجزائري مع تسجيل الفارق بينها.**

و قد مثلت كتابات الأديبة زهور ونيسي كلتا المرحلتين بتعاقبهما الظرفي و التاريخي ، فالمطلع على مسارها الكتابي ، يلحظ أنَّ ونيسي قبل خوضها في كتابة روايتها الأولى المكتوبة باللغة العربية (من يوميات مُدرسة حرة) [9] ، مرت بالمرحلة الأولى المُشار إليها سلفاً و المتمثلة في كتابة المقال الصُحفي الذي اقترن بمعالجة قضايا اجتماعية و ثقافية تمس العمق الجزائري (المرأة ، المجتمع ، التعليم ، تربية النشء) ، و من بين هذه المقالات نُشير إلى مقال بعنوان " إلى الشباب " [10] لزهور ونيسي ، و قد ضمنت هذا المقال آرائها في تعليم المرأة و ضرورة النهوض بها كي ينهض المجتمع من خلالها و يرتقي . ثم تعالى المد الكتابي عند زهور ونيسي من خلال ممارسة الكتابة القصصية ، من خلال بعض المحاولات التي كانت تقوم بنشرها دورياً في جريدة البصائر عقب اندلا ع الثورة التحريرية ، و قد رسمت لهذه القصص خطاً واحداً تنطلق منه و تعود إليه ، و الذي تمثل في تيمة الوطن فغابت الذات ليكون الوطن الموضوع الأقوى بروزاً و حضوراً في كتاباتها القصصية ، منها :

أول المحاولات القصصية و التي تُعد بداية القصة النسوية في الجزائر ، الصورة القصصية المعنونة بـ " جناية أب " [11]، و صور قصصية أخرى بعنوان " الأمنية " [12] ، و " من الملوم " [13] ، و جلسة مع صديقات " [14] ، و قد عاينت هذه المجموعات القصصية المرحلة التاريخية التي عاشتها الجزائر في ظل الاحتلال و تِبعاته السلبية من تفشيٍ للفقر و الأمراض و الآفات الاجتماعية.

كما تطرقت في مختلف مجموعاتها القصصية إلى موضوع المرأة و تفاعلها مع قضية الثورة التحريرية ، التي رسمت للمرأة العديد من النماذج المناضلة الجليلة من خلال تقديم معاني التضحية و الفداء ، و الاستشهاد في سبيل الوطن ، حيث مزجت بين ثيمة المرأة و الوطن في كيان واحد حتى أضحت العلاقة بينهما مُندغمة لا يمكن الانفصام بينها.

و نقف عند حدود هذه العلاقة في المجموعتين القصصيتين المعنونتين بـ " الرصيف النائم " [15] ، " على الشاطئ الآخر" [16] ، التي كُتبت قبل الاستقلال لكن لم يتم نشرها إلا بعد الاستقلال بسنوات ، لتظل هذه العلاقة قائمة في كتابات الأديبة زهور ونيسي ، و

مداخـــــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النـسوية الجزائرية

مع بروز أول نص روائي نسوي مكتوب باللغة العربية في الجزائر للأديبة المعنون بـ : " من يوميات مُدرسة حُرة " [17] الذي كان بمثابة الانعطافة في مسار الأدب النسوي في الجزائر ، و بادرة أولى قامت بها رائدة الأدب النسوي الجزائري مُراهنة على العديد من المواضيع ، لعلَّ أهمها موضوع المرأة و مكانتها في معركة التجديد الذي كان انشغالها الأول و الأخير ، و تُؤكد في مقدمة روايتها على هذا الرهان ، بقولها : " على هذا أمكن للمرأة في مسيرة الثورة أن تُعبر عن نفسها و ترابطها مع متطلبات المجتمع المادية و مُعطياته ... فإن الواجبات قبل الحقوق ، وهذا جوهر أساسي قدمته المرأة أثناء الثورة و أضافته لإثراء الفكر الثوري في خصوصية ثورة أول نوفمبر ". [18]

و قد يتساءل المرء منا ، لماذا هذا الارتباط بموضوع الوطن في كتابات ونيسي حتى أنَّ كتاباتها تحتكم في مضمونها إلى معادلة واحدة تتمثل في حضور موضوع الوطن في مقابل تغييب للذات إن لن نقل إلغائها ، حيث شغلت الكتابة عند ونيسي محاور كبرى تجسدت في كتابة السيرة الذاتية للوطن ، و الانحياز لمعالجة مواضيعه و إشكالاته ، و تُبرر الأديبة هذا الميل البارز في كتاباتها بقولها : " و قد كان لمادة التاريخ ... تاريخ بلادي بما فيه من تراث و آثار ، تجارب ، خيال ، تيه ... هذا التاريخ هو الذي شدني إليه أكثر من أية مادة ." [19] .

و إن كان مُنطلق كتابات ونيسي الفضاء العام (الوطن و قضاياه) ، إلا أنَّ هذا منحها خصوصية و تفرد في كتاباتها التي تُعلنها طبيعة اختيار مواضيعها و طريقة معالجتها ، التي شهدت تغيرات سنقف عليها في العنصر الموالي .

لكن من الضروري الإشارة إلى أقلام نسوية أخرى لها إسهاماتها في تقويم الأدب النسوي و بناءه في الجزائر إلى جانب رائدته زهور ونيسي ، حيث نُسجل حضور العديد من الأسماء التي ساهمت كتاباتها في تأسيس هذا الأدب و دعمه ، نذكر منها:

الأديبة الراحلة زوليخة السعودي ، التي كان لها مشروع رواية لم يعرف النور بسبب رحيل الكاتبة مُبكراً [20] ، و قد كانت لها كتابات قصصية أيضاً نُشرت في مجلتي " آمال " العدد الأول و العدد السادس، و " الفجر " ديسمبر سنة 1962م ، نذكر منها (عازف الناي ، من البطل ، من وراء المنحنى ، عرجونة) ، لتطل من بعد ذلك حقبة التسعينيات التي تعتبر فترة انفتاح الرواية النسوية الجزائرية و انطلاقها نحو العديد من الموضوعات و الاشكاليات التي تعلقت بالموضوع الاجتماعي و التحولات التي مست المجتمع الجزائري آنذاك و ما خلفه الوضع السياسي و الممارسات الإرهابية في الذات الجزائرية ، لتسلط الروائية الضوء على هذه الفترة الزمنية التي أغنت النص النسوي الجزائري و أثرتْهُ و طبعته بملامح و ثيمات راسخة يدور في فلكها السرد النسوي الجزائري ، و من ذلك نجد العديد من النصوص التي خرجت من معطف التوتر الأهلي الذي ساد الجزائر و حصر انعكاساته على الواقع الثقافي و الاجتماعي و الحضاري و الأخلاقي و الأدبي ، نذكرها :

مداخـــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية

- **الجزائـر** : زهور ونيسي : رواية " لونجا و الغول " 1993م و " جسر للبوح و آخر للحنين " 2007م ، أحلام مستغانمي : رواية " ذاكرة الجسد " 1993م، " فوضى الحواس " 1998م و " عابر سرير " 2000م و " الأسود يليق بك " 2013م ، فضيلة الفاروق : رواية "مذكرات مراهقة " 1999م و " تاء الخجل " 2003م و " اكتشاف الشهوة " 2006م ، " أقاليم الخوف " 2010 م ، جميلة زنير " أصابع الاتهام " 2008م ، حسيبة موساوي : " على ضفاف الحلم "2004م ، خديجة نمري : **الثلاثية** " ذاكرة الدم الأبيض "ج1 2004م ، و " سطور لا تُمحى " ج2 2005م ، و " الذكريات الأخيرة " ج3 2006م ، إنعام بيوض : " السمك لا يبالي " 2004م ، زهرة مبارك : " لن نبيع العمر " 2010م ، ربيعة مراح: " الشاذ " 2003 م، و " النغم الشارد " 2003م ، سميرة قبلي : " بعد أن صمت الرصاص " 2008م ، فاطمة العقون :" رجل و ثلاث نساء " 1997م ، زهرة الديك : رواية " بين فكي وطن " 2000م و " في الجبة لا أحد " 2002م ، و " قليل من العيب يكفي ! " 2009م ، ياسمينة صالح : رواية "" بحر الصمت " 2001م ، و " وطن من زجاج " 2006 م ، و " لخضر " 2010م . سارة حيدر : " زنادقة " 2002م ، و " لعاب المحبرة " 2006م ، و " شهقة الفرس " 2007م، عايدة خلدون : " وحده يعلم " 2005م ، كريمة العمري : " نقش على جدائل امرأة " 2008م . فريدة ابراهيم : " أحلام مدينة " 2013م ، منى بشلم : " تواشيح الورد " 2012م ، و " أهداب الخشية – عزفا على أشواق افتراضية– " 2013م . و شهرزاد زاغر : " بيت من جماجم " 2000م ، عبير شهرزاد : " مفترق العصور " 2007م ، هاجر قويدري: " نورس باشا " 2013 م ، و " الرايس حميدو " 2015م ربيعة جلطي: " نادي الصنوبر " 2012م ، و " عرش معشق " 2013م و " النبية تتجلى في وضح الليل " 2014م ، و " الذروة " 2014م و ، " حنين بالنعناع " 2015م .

هذا الكم من العناوين و النصوص الروائية النسوية الجزائرية فتح الباب مُشرعاً للتجريب في بنية النص و مضمونه من خلال التقنيات و الأساليب التي خاضت فيها الروائية الجزائرية خلال التسعينيات و بعدها .

و بحسب ذلك لجأت أغلب الروائيات إلى استثمار البُعد المحلي و التراثي و الحضاري باعتباره ' فضاء ثالث ' [21] يتم الاشتغال عليه بوصفه مساحة للتحول و العبور و التسوية الممكنة بين الذات و الآخر مقوضاً بذلك علاقات السلطة التقليدية المُربكة بين ثقافة المركز و ثقافة الهامش ، فتُسهم ظاهرة المحلية في صوغ أعمالهن الروائية للتعبير عن قلق الإنسان الوجودي والمعرفي ،و طرح أسئلته الحائرة عن الكينونة و الهوية الوطنية و الحضارة و العنف المادي و الرمزي ،فيتوسمون من خلال استخدام اللون المحلي الذي يسعى إلى

مداخـــــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية

تقديم رؤية مغايرة للأشياء ، و محاولة محاورة اللاوعي الجمعي و استثمار المسكوت عنه وفق رؤية إبداعية و فنية ، و هذا ما يُكسب الرواية خاصية الإدهاش و الصدم، و مهر المعاصرة بالتراث و مزج الشرط التاريخي و الاجتماعي بالأسطوري و العجائبي ، و دمج عناصر الفن الروائي الغربي بخصوصية محلية قارة ، و على هذا الأساس و في ظل الظروف التي تعيشها الروائية الجزائرية المرتبط بمجتمعه و المتأثر بمعطياته و تحولاته الكبرى، فإنه يرنو إلى التعبير و الكتابة عن همومه و رؤيته بِمداد محلي عجائبي هوياتي قِوامه الأسطورة و التراث استجلاء للبقايا و الهوامش و المقصي من كينونتنا المعاصرة .

و ما في ذلك إلا إشارة إلى أزمة الذات العربية التي حاولت أن تحقق حضورها المستقل و الفاعل في الحضارة العالمية ، و إن كان هذا هدف الرواية العربية بشكل عام ، فإن الرواية النسوية الجزائرية و بشكل خاص تحاول أن تحقق وجودها المُختزَل منذ الأزل من خلال استقراء الذات عبر ذلك المورث و محاولة تأنيثه ليصبح جزءاً حميماً من ذاتها و تاريخها الشخصي في آن، و بحثاً عن فتنة المؤنث و أوراقه المنسية ، و عوالم لم تُكتبْ تفيض بمواجع الأنثى الأبدية ، عبر نصوص مُغامرة و جريئة تكشف المسكوت عنه ، و بذلك ترتهن الكتابة بالنسوي فيتغلغل المؤنث نصاً و يغوص في المحلي و الخاص من موروثنا يُهدِي بكارة التجربة و خصوصيتها للأنثى بطريقة جمالية للتعبير عن وجودها و كينونتها في الخارطة الإنسانية و الأدبية ، و تجاوزاً من النص النسوي الجزائري لثيمات كادت أن تكون لصيقة به منذ تبلور الرواية الجزائرية من خلال ثيمتي ' الثورة الجزائرية و الاستقلال ' و ' العشرية السوداء و مخلفات الارهاب ' .

وفق ذلك تدثر السرد النسوي بالظاهرة المحلية من أجل الاضطلاع بعملية التثوير و التنوير ،من خلال تمظهر البعد المحلي على مستوى العناصر و المكونات البنائية كتسليط الضوء على أحدها مثل اللغة أو الشخصيات أو الأحداث أو الفضاء الروائي، و محاولة تكريسها و تعويمها في النص و إعطائها بُعداً محلياً تراثياً وسحرياً و عجائبياً، للكشف عن زيـف الواقع و مألــوفـيته المُستعارة و يكون مدخلاً للعالمية التي أساسها الخصوصية .

و قدْ لا نجانب الصواب إذا ما اعتبرنا استثمار الظاهرة المحلية في النص الروائي النسوي الجزائري خطاب مقاوم يملك إستراتجية نصية و معرفية يتم توظيفه على نحو تجريبي مغاير ينهض على التراث ما يؤكد أن الروائية الجزائرية تعي أن التراث فضاء مُجْلي للأدب النسوي و مُعبر عن مواطن خصوصيته السردية، من خلال صيغ تحققه و التعبير عنه بأفكار و فلسفات و كشوفات نقدية و فكرية و إبداعية ، فتتعدد الفضاءات و تتباين في الرواية الواحدة ما يسهمُ في إثراء السرد و توسيع دوائره الدلالية بما يحيل على خصوصية يتميز بها النص النسوي الجزائري التي تتمحور في مجموعة أنساق ثقافية و أنثربولوجية (**الأمثال** باعتبارها جزء من قوة المعرفة و جزء من الوعي الجمالي للمجتمع ، **الحكاية** باعتبارها إبداع جماعي يلتقط بنية متخيلة مشتركة ، **أنماط الثقافة الشعبية الشفوية** ، **العادات و التقاليد و**

مداخـــــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية

الممارسات اليومية التي هي جزء قار من الهوية الوطنية و القومية) ، و هذه الأنساق تلعب بدورها في خلق إنسان ثقافي و كيان رسوخي لا يلتهمه شره الآخر و لا يجرفه المد العولمي الخطير .. و على هذا الأساس نحاول أن نُسلط الضوء على بعض النصوص النسوية الجزائرية التي احتفت بالمحلي و أطرت سردها بعوالم ثقافية و تراثية أصيلة لتخلق سرداً مفتوناً بالانفتاح على اليومي و الذاتي و لصيقاً بالمتخيل الاجتماعي بطابع حميمي يُسهم في تعميق الإحساس بالانتماء لدى الذات ما يعجز الوطن عن تعميقه بسبب المهاترة السياسية و المصالح الوقتية ، فالذات العربية و الجزائرية بالأخص هي ذات مهدورة و منفية عن وطنها و تشعر بالغربة و هي قاطنة فيه فتهرب إلى هذه الطقوس و تحتمي بالمحلية تكريسا للانتماء ، و من بين هذه النصوص التي اخترناها لتكون عينة لورقتنا البحثية هذه منها : روايتي **'نورس باشا '**و **'الرايس حميدو '** للروائية **هاجر قويدري** ، و روايتي **' نادي الصنوبر '** و **'حنين بالنعناع'** للروائية **ربيعة جلطي** ، رواية **' ذاكرة الجسد ' لأحلام مستغانمي** ، رواية **' اكتشاف الشهوة '** للروائية **فضيلة الفاروق** ، و رواية **' أحلام مدينة '** للروائية **فريدة إبراهيم** ، رواية **' لخضر '** للروائية ياسمينة صالح ، و رواية **' السمك لا يُبالي '** للروائية إنعام بيوض ، و غيرها من الروايات التي ستضمها ورقتنا بالبحث و التحليل و الرصد لظاهرة المحلية الباعثة للخصوصية و التفرد.

الذي أبرزته الروائيات الجزائريات كعلامة نصية متكررة في نصوصهن ، حتى كادت تكون سمة قارة تميز بها عالمهن الروائي المُطرز و المُوشى ببلاغة المحلي ، حيث نميز على مستوى هذه الدراسة اشتغال الروائيات في أغلب روايتهن على الفضاء المحلي من خلال سعيهن الحثيث **لأسطرته** و دمجه في عوالم يوتوبية سحرية بالاعتماد على الجانب السيري الذاتي و الإرث الإنساني العريق ، ففتحن في عوالمهن الروائية عوالم لا حدود لها ، تتراءى بين الكوني المشاهد و الكوني المختفي ، و الواقع المشهود و الواقع المُبطن بطريقة عجائبية تتغلغل في الحرف و الروح.

و من خلال ذلك، ستحاول هذه الدراسة الاشتغال على المستوى التخيلي عند الروائيات الجزائريات في تشكيل الفضاء المحلي و ربطه بباقي عناصر السرد ، حيث أبرزن في رواياتهن تعدد و تشعب هذا الفضاء في محتوى الحكاية الروائية ،فهو مرتبط في الأساس بكيانها و مغامرة وجودها من خلال هذا التحول الأنثوي الفاعل من الهامش إلى المتن ، و قدرتهن على صياغة الذات و الواقع ، و تشكيل الواقع في سياق نصي مفارق يجمع بين المتناقضات و المؤتلفات يقوم على تحري رؤى العالم و آفاقه ، تقدم صوراً أشبه بالمعالجة وفق خطة فنية تمثل جمال العملية الإبداعية شكلاً و مضموناً في ثنايا الخطاب النسوي الجزائري .

مداخـــــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية

و على هذا الأساس تروم هذه الورقة البحثية تحديد جملة من الأهداف و الغايات التي ترمي هذه الدراسة إجلاءها و توسيع البحث فيها، وأن تجيب على جملة من المقولات و الإشكاليات التي تحبل بها سرديات **الروائية الجزائرية** ، ننتخب أهمها و بحسب ما يفيد دراستنا:

* هل في قدرة الظاهرة المحلية إبراز مفارقات الحياة و الواقع الذي تعيشه الأنثى راوية و روائية ؟

* ما الذي ترتجيه الروائية الجزائرية في توظيفها الفضاء المحلي في روايتها ؟ و لماذا يبلغ كل هذا الشأو عند روائيتنا ؟.

* هل توظيف المحلي تعبير عند الأنثى عن عطب فكري و جنسي و حضاري يميز المجتمع الذي تعيش فيه أو تنتمي إليه؟.

* هل تناول المحلية في روايات الروائية الجزائرية هو الخباء التخييلي الذي يعزل الأنثى عن عالم حر و مطلق؟ أو عتبة جديدة للتحرر و ممارسة و تحقيق كيانها الوجودي و الحضاري و الثقافي و الاجتماعي ؟ و ما هذه الممارسة في جوهرها إلا تعبيراً عن الفعل المقاوم في إثبات الذات و تأكيد الهوية!.

* فيما تتمثل تمظهرات الفضاء المحلي في روايات الروائية الجزائرية ؟!و لماذا تمعنُ الروائية استخدام أشكال ثقافية مفتوحة ؟ أم أن هذه المساحة الأدبية و الاستطيقية تُنبأ عن حرية في الأسلوب و تمرد عن القوانين بشكل جمالي مثير للفكر و الحواس ؟ .

* ما التمثلات الحضارية و الاجتماعية التي رصدتها الروائية الجزائرية في نصوصها التي تتورط وجوباً في السياق أو الخطاب المحلي و تحاول تعضيد ركائزه الثقافية و التراثية ؟

* هل استطاع النص الروائي النسوي الجزائري تمثيل السرديات الشعبية و التراثية و توثيقها من منظور أنثوي خالص يتميز بالانفتاح على المشاعر الإنسانية و الجمالية و الاهتمام بتفاصيل قد لا يُدركها الروائي لتقنصها و تبلورها في قوالب لغوية على قدر من الرقي و الجمال و الحساسية ؟.

* هل يُعد تناول الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية مجرد نوستالجيا مُؤرقة أم رؤية نقدية إصلاحية للمجتمع و للمركز ،أو أنها عبارة عن معبر للالتزام و منه تحقيق الخصوصية و التفرد ؟ .

* ما معنى الجينوم ؟ ما معنى الجينوم البشري ؟ و ما أهداف مشروع الجينوم البشري ؟

مداخـــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية

* هل الرواية النسوية الجزائرية عبارة عن أطلس و قاعدة معرفية للجين العربي ، حفاظاً على آصالة الهوية العربية و تحصيناً لها من سلبيات التهجين و الامتزاج الثقافي و البيولوجي في عصر الجينوم ؟ . أم أن النص الروائي النسوي الجزائري يعاني من اليتم الجيني ؟.

* هل توظيف البعد المحلي في الرواية النسوية الجزائرية يُبعدها عن الإغراق في السيرة الذاتية ؟ في ظل اتهام الرواية النسوية بأنها مجرد رواية سير ذاتية و لا يمكن أن تتجاوز هذا المؤشر رغم تطورها !.

تطويق الدراســــــــــة :

نحاول في هذه الدراسة توظيف مفهوم الجينوم **GENOME** كمصطلح تقني مأخوذ من حقل علم الوراثة يجمع بين جزئي كلمتين انجليزيتين هما **GEN** و هي الأحرف الثلاثة الأولى لكلمة **GENE** التي تعني باللغة العربية الموروث (الجين) ، و الجزء الثاني هو الأحرف الثلاثة الأخيرة من كلمة Chromosome و هي Ome و تعني باللغة العربية الصبغيات (الكروموزومات) أما الدلالة العلمية لهذا المصطلح فهي للإنسان الحقيبة الوراثية البشرية القابعة داخل نواة الخلية البشرية و هي التي تُعطي جميع الصفات و الخصائص الجسمية و النفسية ، فالجينوم هو كتاب الحياة الذي من خلاله يمكن أن يتعرف البشر على طبيعة خِلَقِهم المادية التي أودع الله بسرها في هذه التركيبة الكيميائية **DNA** من خلال التعريف بكلمة الجينوم كمصطلح و دلالة علمية و كمشروع له أهدافه ، و وضع موروثاته في حالة الصحة و المرض و ما هو مستقبل التعامل معه في الخير و الشر .

من حيث ذلك يعدُّ الجينوم مشروع أو عبارة عن أطلس وراثي للخصائص و الصفات البشرية، يهدف من خلاله التعرف على المائة ألف موروث (جين) **DNA** في الإنسان ، و تحديد تسلسل الثلاثة بلايين صيغة كيميائية للكروموزومات ، و زد على ذلك متابعة الإصدارات الأخلاقية و التنظيمية و الاجتماعية للمشروع ، و تخزين تلك المعلومات في قاعدة بيانات معلومات .

على هذا الأساس يمثل الجينوم الحقيبة الوراثية التي تجمع الموروثات الموجودة ليصبح مشروع الجينوم خطة إستراتجية للمخزون الجيني للتأكد من جل الشيفرات الوراثية [22] التي تحدد المعارف الجينية و خلق هوية لا حياد عنها .

إذاً " الجين سيد الموقف " [23] ، لأن الجين متشعب في علاقاته مع مؤسسات و هيئات و أنظمة ثقافية و اقتصادية و سياسية و حتى بيئية و أدبية ، و ينصب الجين في الموضوع الأدبي من حيث توظيف القوة الاجتماعية و الثقافية الكامنة في مصطلح و مفهوم

مداخـــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية

الجين و الإيمان بهذه القوة الراسخة في هذا المفهوم ، من منطلق أن الجين لم يعد " مجرد جزءاً بيولوجيا من جسم الإنسان و إنما أصبح رمزاً ثقافياً Cultural icon يمكن استثماره كقوة أيدلوجية و اقتصادية و سياسية و في معظم السلطات و على أوجه عدة ، كما أن عصر الجينية Geneticisation خلف آثاراً أبعد بكثير من مجرد المعرفة العلمية ، ظهرت في تفاقم المشاكل الإنسانية " [24] المتعلقة بالمكونات الوراثية و أثرها على السلوك الجيني و الأمراض الجينية و العلاج الجيني .

لكن الذي يهمنا في توظيف مصطلح الجينوم ضمن الدراسة الأدبية لا الاشتغال على دلالاته التي تتعلق بموضوع المادة الوراثية و مكوناتها الحمضية النووية التي تشكل الشيفرة الوراثية الخاصة بكل فرد تُميزه عن غيره ، بل سنستقطب من مفهوم الجينوم دلالته الإجرائية و العملية التي مفادها أن لفظ الجينوم دال على كل ما هو وراثي على أساس أن الجينوم في مفهومه العام هو مستودع أسرار البشرية و الكتاب الجامع المانع لها ، و هو كتاب مفتوح على كل مهتمٍ و مُلِمٍ بموضوع الموروثات ، من حيث ذلك سنُسقط هذا المفهوم و دلالته المتنوعة على مجال النص الروائي ملتمسين من خلاله العلاقة التي تجمع بين النص السردي و موضوع الظاهرة المحلية و الاشتغال على التراث و المؤثرات الشعبية و استقطابها في النص و تدويرها على أنها جزء أساس من الفضاء الجمالي و الفني و الإبداعي و النقدي العام للنص ، هذا النص الروائي المعاصر الذي يُراهن على القضايا الإنسانية المشتتة و التركيز على دعم الخصوصية في تناول هذه القضايا من خلال ترميم الذاكرة الجمعية المتصدعة بإرساء مادة روائية متخيلة تحاول الوقوف على الشتات الروحي و استجماعه من خلال مساحات البوح التي تتلازم فيها التجربة و الآفاق الجديدة و استحداث رؤى تفاعلية تجمع بين المحيط و الآخر ، لخلق خطاب روائي يشهد على التحولات الكبرى التي شهدها العالم على جميع الأصعدة و القضايا التي أفرزت إشكاليات تستوجب المرحلة التجاوب معها من خلال الذات التي لم تعد منغلقة على نفسها بل أصبحت تصب في روافد الحضارة الإنسانية و تمد جسر التواصل بين الثقافات المختلفة ، و ترسم معالم و قيم اجتماعية و إنسانية لكن من منطلق الحفاظ على خصوصية المجتمع في زمن الانفتاح .

من هذا المنطلق تحاول الرواية المعاصرة في عصر العولمة و الاستنساخ و التهميش أن تكون نموذجاً فاعلاً و مقاوماً لإثبات الذات و الدفاع عن الهوية و المبادئ و المقومات القومية و الوطنية و الخصوصيات المحلية ، لتصبح الرواية عبارة عن منبر يعتليه الجميع (القارئ أو المتلقي) ليتكلم و يُعبر من خلاله عن وجوده و كيانه الثقافي و الاجتماعي و العقائدي في ظل المد الحداثي الخطير الذي أذن بنهاية الفرد و الإنسان [25] و بالتالي نهاية التاريخ و الايدولوجيا على غرار موت الإله [26] عند الفيلسوف نيتشه . هذه النهايات فتحت الباب مُشرعاً أمام تكريس نظام جديد و ثقافة مهيمنة تُفضي إلى إفراغ الذات و المجتمعات من محتواها الاجتماعي و خلفياتها

مداخـــــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية

التاريخية و الحضارية و ركائزها العقائدية و العرفية و اختياراتها الفكرية و دوافعها السلوكية ، التي تُعد ثوابت لا يمكن أن تُمحى أو تُلغى أو ينسلخ منها الفرد مهما عاش في واقع اغترابي أو انجرف إلى تيار اللامعنى و الفراغ .

في هذا الصدد ، تحاول الرواية النسوية الجزائرية كنص له خصوصيته و اختلافه إعادة تكوين الهوية الذاتية للمجتمع من خلال الارتكاز على مخزوننا التراثي و الفكري ضمن إنتاج المعرفة الثبوتية و الحميمية التي تجذب القارئ من أجل توصيل البعد الإنساني و الزخم التراثي و الفكري مهما كان انتماء القارئ و هويته التي يدور في فلكها ، لينخرط بذلك الأدب النسوي ضمن ما يسمى بالظاهرة المحلية التي تتعلق بالشرط التاريخي و الموضوعي و الاجتماعي و النفسي و السياسي ، و الالتزام بالآصالة المهددة بالزوال و الاندثار و الاهتمام بأطوار الطفولة المستعادة ، ليعبر المحلي عن خطاب مقاوم للعزلة التاريخية التي فرضها الوجود الاستعماري و لا يزال يحاول فرضها من خلال سلطته المعنوية و الفعلية التي يمارسها على الشعوب الخاضعة له ، ليستوعب النص النسوي مفهوم المقاومة أو ما يسمى بـ ' أدب المقاومة ' و هو الأدب المعبر عن الذات (الواعية بهويتها) و(المتطلعة إلى الحرية) في مواجهة الآخر العدواني و مشاريعه الإخضاعية ، على أن يضع الكاتب نصب عينيه ا جماعته ا وأمته ا، محافظة على كل ما تحفظه من قيم عليا، وليس متطلعة إلى الحرية بمعنى الخلاص الفردي الذي يكرس الذاتية و يُلغي الفعل الجمعي الذي بقدرته تغيير الواقع و رسم آفاق جديدة ، و هذا ما يرمي إليه الأدب المقاوم هو إذكاء روح المقاومة و الوعي عند العامة. فقد يعاني أحدهم من الظروف القهرية ، لكنه يتعايش معها دون رغبة في تغييرها، و يبدو أن الحكمة القائلة " أن تكون عبداً واعياً لعبوديتك أفضل من أن تكون عبداً جاهلاً سعيداً "، هو ما يعكس جوهر الأدب المقاوم ، من حيث ذلك يخطئ الأديب إذا ما جعل الحرية حالة ذهنية دون أن يتجاوزها بعمل أدبي أي أن يتعامل بفاعلية و إيجابية، من أجل تحقيق الهدف الأسمى في التحرر.

و على هذا الأساس ، أدب المقاومة الحق هو أدب وجود و أدب التعبير عن صراع الأنا خلال سعيها لتحقيق كياناتها الوجودية و الحضارية ، في مسرح الآخر الجحيمي ، المُتقد بجمر المستعمِر ، و المستعر بحطب المستعمَرْ، في هولوكوست (المحرقة) صراع المركز و الهامش ، هذا الهامش الذي تُركز عليه الروائية الجزائرية في نصوصها و تشتغل عليه كبينة نصية مرتبطة بشبكة من العلاقات الإنسانية و الحضارية و الاجتماعية و القولية ، فيبرز الهامش في الخطاب أو النص كـ " جماعة متخيلة تشتغل على تواريخها ، تؤطر لها المفاهيم الناجزة تلك التي تُدار من وراء مؤسسات لم تأت من فراغ نظري بائس، عاثر ، بل تدشيناته كانت معرفية صِرفة ." [27] دون التماس خصوصية و هوية هذا الهامش الذي يظل وفق أملاءات المركز مجرد بنية مُخترقة لا ثوابت لها تحاول السرديات المركزية ازدراءها و خلخلتها و طمسها و التورط في دحضها و دحرها ، من منطلق سيطرة و سيادة المركز الإمبراطوري أو المركزية الأوربية Euro-centrisme بشكل مطلق على العقد القولي و الكتابي ليمارس المركز بمقتضى ذلك " العملية الواعية أو غير الواعية التي

مداخـــــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية

تبني بمقتضاها أوربا، و فروض الثقافة الأوربية بوصفها الأكثر تفوقاً في مواجهة باقي الثقافات في العالم. و قد تعزز المفهوم في القرن الثامن عشر مع الاستعمار الأوربي لأنحاء عديدة في العالم، و عندما وصل الاستعمار الأوربي إلى ذروته في القرن التاسع عشر ،حصل المفهوم على تعزيز له من خلال عمليات الاستكشاف و الغزو و التجارة الأوربية ،كما ساعد بروز القوى الاستعمارية و هيمنتها الفكرية على الأطراف المستعمَرة من خلال المؤسسات الكولونيالية مثل المدارس و الجامعات ، على ترسيخ النُظم و القيم الأوربية بوصفها أعلى من النُظم و القيم الوطنية لدى السكان الأصليين " [28] ، هذه الهيمنة تقتضي عدم الاستسلام للمركزية الإمبراطورية أو الخنوع لها ، من خلال التمرد و الالتزام بخط القيم الذي تتوازن فيه الروح و المادة و الأخذ بالروافد الحضارية الأصيلة و العودة إلى المنابع الأصلية و عدم الحياد عنها ، و الثورة على جميع أشكال المركزية و العودة إلى الداخل .. إلى الرحم المعرفي الثابت و المحافظة على كينونته و خصوبته ليولد خطاب محلي جزائري بكل ألوان الطيف ، يُسهم في إضاءة عمق الشعب التاريخي و الحضاري ، من خلال استثمار ثنائية الشكل و المضمون لإحياء الهامش المُغيب من تراثنا و ثقافتنا ، ذلك أن الأدب بالنسبة للروائية خطاب و فكر مقاوم بامتياز يقاوم ثقافة المركز و خطابات الآخر التغريبية و التشويهية لفكرة الهوية و الذات العربية الإسلامية ، و البحث عن دعائم معرفية و مرجعية تميز الخطاب الثقافي الجزائري بشكل خاص ، و العربي بشكل عام، فيحاول انتشاله من الضبابية التي تعزله عن مقوماته وجذوره الأصيلة ، من خلال الاعتماد على مفهوم أو مصطلح ' الرد بالكتابة ' الذي يُعبر عن الرد على " الثقافات الحواضرية ، و تخريب السرديات الأوربية عن الشرق و إفريقيا ، و استبدالها بأسلوب سردي جديد أكثر لعباً و أشد قوة ، تشكل مكوناً رئيسياً في هذه العملية ." [29] التي تُقدم قيم مُضافة إلى المجتمع في معركته لإثبات وجوده الحضاري و المعرفي ، فنلفي الروائيات الجزائريات يحاولن توظيف الأنساق المرجعية بطريقة مقاوماتية و مبتكرة من خلال كتاباتهن العابرة للقار، باعتبار أن الرواية النسوية الجزائرية جزء من آداب الشعوب المستعمرة التي عانت من ممارسات الوجود الفرنسي الاستعماري الباطش ، التي تتوق عبر التخييل إلى تأكيد الهوية و رسم الاختلاف من خلال المقاومة الإبداعية التي تعتبر محاولة لنقض المفهوم الكولونيالي للعالمية التي تُقصي كل ما يُحيل على الخصوصية و التفرد و التوجه نحو نماذج مبسترة و ممجوجة ، و بالتالي يحتضن النص الروائي النسوي الجزائري مقاصد كبرى أهمها مقاومة العنف الرمزي و الخصي الفكري الذي يمارسه الآخر [30] الكولونيالي أو المركز المتعالي ، و العودة و الارتباط بتراث الشعب المقهور و إبراز عناصره الثقافية و الحضارية المطمورة قسراً و التي بإمكانها أن تُنافس ثقافة المركز الغازية بل و أن تُضاهيها و يكون النص النسوي المنصهر في هذه العناصر نداً لها ، من هنا تتوق الكثير من الروائيات الجزائريات إلى الانزياح عن الشكل الروائي المعهود في الكلاسيكيات العربية و الغربية معاً ، و ذلك من خلال تشييد مساحة فنية جديدة تمكن من زحزحة حركة الحداثة الغربية الساعية إلى دمج الثقافات كافة ما تزعمه بالجمالية العالمية ، و خلق فضاء موازي أو كما يُسميه المستشرق الهندي ' هومي بابا ' بـ ' الفضاء

مداخـــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية

الثالث ' [31] الذي تروم الروائية من خلاله تضييق فجوة التباين بين عالمي الشرق و الغرب و المُستعمِر و المُستعمَر أو الأنا و الآخر لخلق نموذج نص إنساني حضاري عابر للمسافات و متجاوز للحدود و الآفاق الضيقة ، تستقطبه الذات المتلقية دون توجه أيدلوجي أو براغماتي .

و قد استثمرت الروائية الجزائرية هذا الفضاء المحلي الذي تخلل النص بكثرة ، حتى كاد يُغطي المتن ذاته ،يشمل استخدام المعطيات اللهجاتية العامة المتنوعة و التي تُمثل جميع المناطق الجزائرية (لهجة سكان الشرق مثل قسنطينة و الهضاب ، لهجة سكان الصحراء مثل المجتمع الطارقي و أهل الجنوب الكبير ، اللغة الأمازيغية ' الشاوية ' و غيرها من الصور اللهجية الأخرى التي تعبق بها الجزائر العميقة) و ذلك من خلال استثمار خصوصية تراكيبها اللغوية و معانيها و صورها التلفظية عاكسة المخزون الثقافي و الشعبوي للفرد الجزائري الذي تمتد أصوله التاريخية إلى البربر أو الأمازيغ و العرب الفاتحين ، و الأندلسيين الفارين من المحاكم الصليبية في إسبانيا ..... الخ ، أضف إلى ذلك توظيف الحكم و الأمثال و الحكايات و الأساطير الشعبية ، و الاهتمام بالتراث الشعبي و الشعر الملحون في الجزائر و تقديم التقاليد و العادات المقترنة بالمتخيل الاجتماعي تقليصاً للمساحة القائمة بين المشافهة و الكتابة و العالمية و الشعبية ، و الكتابة على منوال القدماء و استخدام قوالب لغوية كلاسيكية مستمدة من المخزون الثقافي العربي الماضوي ، قصد تشخيص الخيال المجتمعي و التعبير عن جوانب من ذهنيته ، و إبراز الوعي الجمالي للمجتمع المحلي ، الأمر الذي يُضفي على السرد النسوي نكهة محلية توطد صلة النص بنسقه الثقافي المتحرك و الذي يتغير بتغير الوقائع المتداولة ، و تصحيحاً للنظرية الكولونيالية لواقعنا و خطابنا المحلي .

و الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية تنطلق من التاريخ العربي و الجزائري القديم منه و الحديث مروراً بكل المراحل – الاستعماري و ما بعد الاستعماري ، و كل ما مكن من تشكيل القوة عبر التأريخ و الدراما التي ولدتها أحداث زمنية معينة ، خاصة المآساة التي عاشتها المرأة ، ذلك أن هناك عدة أقاليم مُخبأة في الذاكرة الجزائرية ، و لهذا اتخذت المرأة الكاتبة من الكتابة مساحة كي تقول و تُفصح و تبوح بما خفي من أنساق هذه الذاكرة ما يؤرقها و ما يُورق فيها من فرح و حزن ، لذلك تحاول الروائية أن تكتب ذاتها في نهم بيوغرافي و تقدم تفاصيل واقعها و حياتها اليومية معتمدة على البوح و الحكي و استدعاء الذاكرة و هي أوجه مارستها الأنثى منذ القدم ، فالمرأة تحاول دوماً الحفاظ و الجمع ، على هذا الأساس تلتف حول الثقافة المحلية و الاهتمام بجمع الموروثات الشعبية الشفهية الذي يكاد أن يندثر لتبحث من خلال ذلك عن ذاتها المتشظية المثقلة بهموم الإنسان و الواقع و تسلط الضوء حول أعماق الفرد الجزائري ، من خلال ممارستها للكتابة و البحث في التراث الحامل للحقيقة التي تعكس مكنون و أصل الذات أو الفرد

مداخـــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية

بعيداً عن أي أيدلوجية تفرض عدم الاهتمام و الاكتراث بحقيقة الفرد و أصله أو مرجعيته ، لذلك يقع على عاتق المرأة الكاتبة أن تجمع و تُوثق و تُقدم النسق التراثي و المحلي لتكافح النسيان الذي يطوي المادة الشفهية في غياهبه ، لتحفل بذلك الرواية النسوية بمحاور جديدة بعيداً عن المحور – التهمة – و هو الارتكاز حول الذات الأنثوية و شرنقاتها و همومها الشخصية لتنفتح على كتابة الذات من خلال الواقع و استعادة بدئيتها و بدائيتها من خلال مساءلة التاريخ الذكوري و العنف الرمزي الذي مارسته السلطة البطريكية ، لتقف كتابة الأنثى على نقد الواقع و إبراز مثالبه و انتكاساته فتخوض الروائية من خلال نصها مقاومة دنكوشوتية لتطرح الأسئلة و تفتح جبهات متعددة تجترح من خلالها اختراق عالم الصمت بالجهر و عالم الجبر بالتمرد .

تأسيساً على ما سبق ، سنسلط الضوء على تمثلات الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية ، من خلال العناصر الآتية :

1 – **المكان المحلي .**

2 – **التشكيلات اللهجية المحلية .**

3 – **استدعاء الأسانيد الشعبية و التراثية المحلية (الأمثال و الحكم ، القصة و الحكاية الشعبية ، الشخصيات التاريخية و التراثية) .**

4 – **توظيف العادات و التقاليد و الممارسات الشعبية المحلية (الأكل و اللباس ، السكن و الأثاث ، المحافل الاجتماعية كالأعراس ، الحمام الشعبي) .**

5 – **القضايا المحلية الراهنة و التي تتعلق بقضايا المرأة .**

6 – **الفضاء الكرنفالي المحلي .**

و سنطرق أبواب دراستنا أولاً من خلال عنصر المكان المحلي و الإلمام بطرائق توظيفه و الاشتغال عليه في بناء الزوايا الفنية و الجمالية و الموضوعاتية للنص ، حيث لا يعدُّ المكان " ذلك المعطى الخارجي المحايد نَعْبرُه دون أن نأبه به ، و إنما المكان – حياة – لا يحده الطول أو العرض و إنما خاصية الاشتمال . " [32] ، و عند حصر التجربة الإنسانية من خلال موضوع المكان فإنها تشتمل على العديد من التأملات الفكرية و الوجدانية ، و الجوانب النفسية (الشعورية و اللاشعورية) ، ما يعني أن هناك علاقة قائمة بين الإنسان و بين المكان لا يمكن أن تنفصل تقوم على احتواء جميع التجارب الإنسانية التي عبر عنها الإنسان بمختلف الأشكال و الأساليب ، و أهم هذه التجارب التي جذبت الإنسان و كشفت عن مكنوناته الداخلية ألا و هو الأدب ، حيث أصبح للمكان في ظل الأدب بعداً فنياً تخييلياً ، و بذلك أصبح المكان عبارة عن " وحدة أساسية من وحدات العمل الأدبي و الفني في نظرية الأدب ، وعدت إحدى

مداخـــــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية

الوحدات التقليدية الثلاث ، و لطالما كانت مثار جدل في تحقيق العمل الأدبي و الفني في المسرح بالدرجة الأولى ، و لم يتجاوزها في النظرية الأدبية الحديثة . " [33] ، فأصبح المكان العمود الفقري الذي تقوم عليه القصة و الرواية و الشعر و بافتقاد هذا العمود يفتقد العمل الأدبي عموماً خصوصياته و أصالته ، و بالتالي يختل العمل كله أو يأتي باهتاً و شاحباً .

و توظيف المكان في الرواية النسوية الجزائرية ، جاء بطلاً حقيقياً لا يمكن تجاهله ، يعكس مدى وعي الروائيات بأهمية المكان و ضرورته كخطاب سردي مُعبرْ عن رؤى و أفكار تجمع ما بين النفسي و الاجتماعي، ليمثل المكان عنصراً مهماً للتعبير عما يدور في دواخل الشخصيات من قضايا و آراء تختص بحياتها الاجتماعية و الثقافية ،كما يعكس أزمة المرأة على عدة مستويات التي خلقها الواقع الذي عانت منه لِتخرج عن إطاره و تحطم قانونه الذكوري الذي يتحكم فيه ، و هو ما طبع الرواية النسوية الجزائرية بهاجس تحرير المرأة الجسدي و الفكري و الثقافي و الاجتماعي ، انطلاقاً من ذلك عمدت الروائية الجزائرية للتعبير عن هذا الهاجس بتوظيف و استقطاب المكان المحلي لرصد المعالم الجغرافية و الحياة الاجتماعية و الروحية في البيئة الجزائرية المحلية و العربية أيضاً ، من خلال التركيز على المهمل و المستثنى من الأمكنة التي تتموقع تحت الظل و تركن في دولاب النسيان أو التجاوز المركزي الإمبراطوري الذي لا يطرق أبواب هذه الأمكنة إما تعالياً أو تقنيناً لها ، لتذهب أغلب الكتابات في السير على توظيف المكان النموذجي أو الحضاري الذي لا يمثل إلا الأمكنة و الصروح الغربية فقط ، من حيث ذلك ركزت الروائية الجزائرية على كسر هذه القاعدة من خلال توظيف المكان المحلي و استثماره لاستعادته و تمثيله للذات الإنسانية .

و المكان المحلي هو مكان غير معروف أو غير مُعين جغرافياً و يحتشد بدلالات مجازية و خيالية أو يغيب تحت ركام من المعلومات [34] ، يمثل كخطاب مرحلة معينة أو يؤسس لوعي تاريخي و سوسيوثقافي بعيداً عن التسنين الثقافي و التمفصلات المانوية manichean بين عوالم حضارية و أخرى غير حضارية ، لتواجه الكاتبة من خلال المكان المحلي الحواجز الامبريالية التي تحتفي بها الرواية الحضارية و دأبها في موضعتها من مشهد السرد ، لتنزاح عن ذلك بتقديم المكان المحلي تكريساً لعودة الذات من المكان المركزي إلى الهامش عودة عكسية استطيقية و ثقافية تُفسح أمام الذات لصوغ خطابها وفقاً لأنساق ترميزها .

و قد ركزت أغلب الروائيات الجزائريات في نصوصهن على تقديم المكان المحلي و ترسيخه ضمن البنية الفنية في البناء السردي للنص ، إما باختيار أمكنة محلية من بيئتها الداخلية أو الخارجية تحقيقاً للانتماء و توسيعاً له ، حيث نلمس من خلال الروايات التي اخترناها للدراسة توظيفهن للمكان المحلي الجزائري و حتى العربي ، أو هناك من يُقابلن المكان المحلي بالمكان الأوربي الحضاري على أساس التضاد الذي يقابل بين المكان المركزي و المكان الهامش ، و قد تبنت أغلب الروايات النسوية الجزائرية هذه المعادلة لإبراز جماليات المكان المحلي من خلال المقارنة و المفاضلة القائمة بينهما ، من حيث استحضار المعالم التاريخية و المظاهر الاجتماعية و المحددات

مداخـــــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية

الفكرية و الثقافية للمكان المحلي الذي يبرز كـ " سلطة لها ماضيها و حاضرها و مستقبلها تُمارس فعلها الايجابي على مستوى الحضور و التفاعل و التجدد ، و لها القدرة على أن تكون ذاكرة مؤسِّسة للإنتاج المعرفي " [35] الذي ينقل للقارئ أو المتلقي معالم مجهولة بالنسبة إليه أو خُفيت عنه بسبب التغييب القسري الذي تفرضه العزلة الجغرافية و الثقافية أو عدم الاهتمام النابع من المتلقي ، و قد حاولت الروائية الجزائرية تقديم المكان المحلي في نصوصها من خلال الاعتماد على طريقتين في التوظيف هما :

- **التوظيف الخارجي** : و يكون لإعلام القارئ و اطلاعه على ما هو مجهول بالنسبة له ، و هنا يكون تقديم هذه البيئة أو المكان المحلي على طريقة التأريخ الذي يسرد دون تدخل أو تغيير بأسلوب توثيقي .
- **التوظيف العضوي** : هو توظيف يجعل من المكان الحلي معادلاً نفسياً و تفسيرياً للظواهر المعقدة ، من خلال رؤية فكرية .

و قد تأرجح النص النسوي الجزائري بين هذين الطريقتين ، لتمثيل الذات الإنسانية المفقودة و استعادتها من خلال خوض رحلة إلى الداخل in the voyage رحلة ترصد من خلالها تلك الفرادة التي من شأنها أن تعطي خصوصية و تفرد للذات حسب انتماءها و هاجسها بهذا الانتماء من خلال المكان المحلي الذي يُستحضر كذاكرة حية في وعيها الحاضر لدحض و مواجهة سيرورة الزمن الذي يُهدد بمداهمة متعلقات هذه الأمكنة و تفاصيلها و دحرها في زاوية النسيان ، حيث نلمس هذا الهاجس في رواية ' نادي الصنوبر ' [36] للروائية ربيعة جلطي التي تناولت عالم الصحراء الجزائرية من خلال منطقة الأهقار أو الهقار التي تحوي قبائل الطوارق أو التوارق لتجعل بطلة الرواية الحاجة عذرا التارقية أحد بنات هذه القبيلة العريقة التي تُمثل التاريخ الجزائري بأصالته و زخمه العريق ، فحضر المكان الصحراوي المحلي بجميع تفاصيله و ثقافته و حضارته التي نقلتها الروائية ربيعة من خلال البطلة الحاجة عذرا ضمن مشاهد سردية متنوعة رغم تنقلاتها المتعددة ضمن أحداث الرواية بداية بسفرها مع زوجها الخليجي إلى العاصمة ثم إلى دولة خليجية ، لينتهي بها المطاف في نادي الصنوبر أرقى الأحياء الجزائرية على الإطلاق ، لكن رغم ذلك ظل المكان المحلي – الصحراوي – حاضراً بقوة بجميع تفاصيله و مؤثثاته ما عكس الهوية الشخصية و الحضارية و التاريخية للحاجة عذرا و للفرد الجزائري بشكل عام ، ليلقي المكان بظلاله على الأحداث و الشخصيات من خلال العادات و الطقوس و الممارسات التي تفرضها هذه الأمكنة ، حيث تستدعي الصحراء – المكان الهامش – برحابته و أفقه لتقول على لسان بطلتها عن هذا المكان الذي يساوي ذاتها و يضفي قيمة عليها ، هي " الصحراء الكبيرة لنا منذ أن خلقت ، خلقت لنا نحن الطوارق ، لأننا نحب كل حبة رمل فيها ، لم نأتِ لنسرقها ، لنغتصبها ثم نختفي .. لا الصحراء أنانا و شرفنا . نحترم سكونها و صمتها و غضبها و رضاها ، و نحفظ أسرار آثارها الممتدة في عمق التاريخ .. إنها نحن ، و إننا هي ، نمتزج مثل عاشقين و نفنى في حراريتنا ، هكذا تُردد جداتي في أغنياتهن العتيقة ، و أمثالهن التي تعود إلى الأزمنة البعيدة .. أمثالهن الجميلة تصور تعلق الطارقي بالصحراء شبيه عناق محموم بين عاشقين ، نعم الطارقي في حالة شبق دائمة مع الصحراء . " [37]

مداخـــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية

الوطن الاستعاري باعتباره رمزاً و واقعاً استعارياً يُجسد هتاف الحنين الخفي لاستعادة المكان المفقود أو المهمش من خلال تعرية هذا الفضاء و حفره إبداعياً ليقول نص ' نادي الصنوبر ' ها قد رجعت الصحراء و عاد المحلي المهجور ، الذي نعود إليه حسب – الروائي الليبي إبراهيم الكوني – لـ " نُلبي نداء الحنين بالرجوع إلى مكان هجرناه " [38] ، و قد هجرت الحاجة عذرا صحرائها متوجهة إلى أحد البلدان الخليجية بعد زواجها من عبده الخليجي الذي رآها في أحد جولاته لممارسة الصيد بمنطقة الصحراء الجزائرية الكبرى و وقع في غرامها لتتنقل معه في جميع الأمكنة و العواصم العالمية لكن الحنين إلى الصحراء كان أكبر و أشد من كل الرفاهية التي عاشتها ليطغى المكان المحلي و ينسحب بظلاله على كل مكان تعيش فيه ، سواء خلال وجودها في قصر الحاكم الأوحد في الجزائر أو قصور زوجها عبده و عائلته أو من خلال مسكنها بنادي الصنوبر و شقتها بالعاصمة ، لتقدم رؤية نقدية لواقع المكان الآخر و المكان – المدينة – من خلال ثقافة هذه الأمكنة و مجالها التاريخي و الحضاري الذي لا تجد وجه مقارنة بينه و بين صحراء الطوارق التي ترى أنها في حاجة إليها و الصحراء بالمثل هي في حاجة لابنتها الملكة تينيهان / عذرا التي ابتعدت عن حياضها و منبتها فتقول بحسرة : " أحياناً أشعر بأنني خنت صحرائي و أحياناً أخرى أتلمس منبع قوة في داخلي تقول لي إنني النبية التي ستعيد للطوارق مجدهم و تخبرني أنهم ليسوا بخير و يحتجون إلى نسائهم . و لن أُسمى عذرا سليلة تينهينان إن لم أفعل . ليس مجرد حلم ذاك الذي يراودني سأعود و أقوم بما فعلته ملكتنا تينهينان .. أجمع قوانا و أسوق الطوارق إلى تاريخهم و أجعل من لغتنا " تماشاق " أو تمعشق .. لا فرق ذات الموسيقى الفاتنة في مصاف اللغات الأخرى ، سيحبها من سيعرفها [....] أحن الآن إلى الكلام بتماشاق لغة الطوارق ، أشتاق أن أحاور بها أحداً و تمتلئ بنطقها و لذة انسيابها مثل حلاوة تمر على لساني ، فأرتوي برقتها و شفافية عباراتها المنسكبة في حلق الهواء ." [39] ذلك ما يُثيره الحنين و الرغبة في استرجاع المكان المحلي من خلال طرق باب ذاكرة الماضي التي تفتح الباب مُشرعاً على مضامين ثقافية حميمية خاصة تُشعر الذات بهويتها و انتماءها الجمعي لجماعتها ذات الخصوصية و التفرد ، ليزداد التحامها بهذه العوالم الخاصة كلما شعرت هذه الذات بالغربة و الاضطهاد ، و إن كانت الحاجة عذرا لم يمسها اضطهاد البتة و هي تعيش في قصور عبده كالملكة لكنها صحرائه لا صحرائها التي مسّها الزيف و التحول الذي لم يذر شيئاً من خصوصية الصحراء العربية بخيامها و نوقها و سمر لياليها ، حيث " كان الترف الواسع يطل من كل شيء .. من الثريات الفخمات غرائبيات الأشكال ، النازلات كرذاذ زجاج مصهور منثور حتى أرضية الرخام الأخضر . الثراء يفوح من طبقات قماش الستائر النادر ، أقمشة شفافة و سميكة تغطي بعضها البعض في تدرج متناسق من الألوان و الأحجام ، [...] تمتد الزرابي مُنبسطة على مساحات واسعة و أخرى مُتدلية تُزين فضاء المكان ، حتى لا يكاد يُرى جدار واقف .. بينما الرخام الأبيض الأصلي يكاد يُفرد أجنحته و يطير مثل الحمام على السلالم . " [40] ، لكن أين هي الخيمة ؟ أين هي معالم الانتماء التي تجمع هؤلاء الأفراد بمكانهم ، لماذا هذا التحول و الإنكار الذي تُلح عليه الذات العربية الخليجية من خلال عائلة عبده و أخته

مداخـــــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية

سعدة و غيرهم ، ليصبح العثور على أحد ملامح المكان المحلي فرصة نادرة لا تُعوض و تُقتنص لقيمتها المثمنة مثل رؤية أو عثور عذرا على خيمة منتصبة داخل القصر أمرت والدة عبده بوضعها كي لا ينقرض عالم البادية الذي جاءت منه بعد انتقالها إلى لمدينة بعد اكتشاف حقول البترول و مسيرة الثراء الذي عاشتها شعوب هذه الدول مُلقية وراءها ثوابتها و هويتها لتقع في براثن الحداثة و الانسلاخ السريع ، حيث عبرت عن ذلك " بكتْ عذرا حين زارت قصر أم عبده المتوفاة ، وجدت خيمة منصوبة داخل القصر ، و كأنها تشهد على عالم منقرض .. أخبروها أن أم عبده بعد الانتهاء من تشييد القصر لها ، أصرتْ أن تنقل خيمتها إليه و ترفع أوتادها داخله كعادة رفع الخيام ، علمت أن أم عبده لم تكن تبرح خيمتها رافضة أن تُؤثث و تكيف مثل باقي القصر ، كانت تدري أنه سيصعب عليها ترك خيمتها ، و لن تستطيع العيش خارجها فتم نقلها إلى القصر كما هي ، ظلت أم عبده فيها لا تبرحها حتى رحيلها. " [41] ، هذه الخيمة الأصل و الانتماء و المعنى الذي تستحضره من خلال المتخيل و الرجوع إلى فضاء الخيمة كلما ضاق بها واقع المكان المزيف و الضحل ، حيث " تجلس عذرا أرضاً ، تضعها قُبالتها ، تُغمض عينيها ، تربع رجليها و كأنها جالسة تحت خيمة ، تزيد الروائح و عطور الصحراء التي تملأ الشقة شعورها بالانفلات و الابتعاد بالسفر الممدد على جسد الجغرافيا و على الرمل الحار ، بين هسيس الصمت و همس الصهد ، كأن أوتاد الخيمة تسمع طقطقاتها المحببة إليها حينما تهب ريح خفيفة تنثني بين أذرع هواء خجول ، فتتحرك خفيفاً خفيفاً أطراف ثوب الخيمة الثقيل ، المصنوع من مزيج الصوف و الوبر المضفورين بعناية و ذوق ، تنبس بخشخشة خافتة .. يستقيم الخيال ، تشعر عذرا و كأنها تحت خيمتها في صحرائها ، تنظر إليها عيون جلسائها بإعجاب ، و هي تتلو أشعارها لا تليق بها غير لغة ' تماشاق ' "[42] ، إنها التفاصيل التي تقبض عليها الحاجة عذرا كشذرات نور متطايرة خوف فقدانها ، كي لا تفقد نغمات آلة الآمزاد و قصائد الشعر بلغة التماشاق و الحنة التارقية السوداء و السواك و الخلخال الفضي و عطر البخور الأثيري الذي يشدُّ الروح إلى موطنها الأول و جلسات الشاي بالنعناع و أصوات الندماء حولها ، هذه اللوحة الفسيفسائية العميقة التي شكلها المكان المحلي الصحراوي الذي فرض نفسه بقوة و بسلطة مطلقة من خلال استدعاء عذرا له في كل مكان تطأه و كأنه مكان متعالي أو خارج المكان ، لا يمت بصلة لأي مكان قطنته حتى و لو كان مكاناً عربياً أو محلياً كالعاصمة حيث ظلت ترى هذه المدينة بعيون صحراوية تستقطب الأفق المفتوح و البساطة و الجمال في كل ركن فيها رغم قبحها ، لكن المكان المحلي الصحراوي ظل سيد الأمكنة و أقدسها مكان الأحرار ، " تمرر الحاجة عذرا يدها على زجاج النافذة ، ترى وجهها بملامحه المليحة يلوح بين الضوء و الظل ، تُمرر يدها مرة أخرى و كأنها تريد أن تمسح البنايات و سطوحها العالية و الصحون المقعرة المعلقة على الشرفات لالتقاط ما يمكن التقاطه من أحلام وردية . تمسح الحاجة عذرا الزجاج ببطن كفها ، تريد أن تُزيح كل ما يعيق بصرها عن رؤية السماء التي تستقيظ مثل وحش كاسر في خيالها [...] تأمل عذرا أن يتحرر بصرها بعيداً ، أن ينسكب هناك في مجاهل الضوء ، في غياهب

مداخـــــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية

الصحراء ، صحرائها التي تحنُ إليها ، الصحراء المتمردة رمالها ، صحراؤها التي ترتمي لتبسط سحرها على ربع القارة الإفريقية حيث كان أجدادها الطوارق منذ آلاف السنين جزءاً منها ، من جنونها و صوابها ، من هدأتها و يقظتها من ثبات صخورها التي تنتصب منذ أزل . " [43] ، لذلك لم تنفصل عن هذا المكان بل كان انفصالها الواقعي عن الصحراء – المكان المحلي – هو سبب قوة وشيجة ارتباطها به لتعوض ذلك الغياب من خلال استدعاء طقوس هذه الأمكنة و الممارسات اليومية التي أفرزها هذا المكان الثقافي لمقاومة الغياب ، و ذلك من خلال إقامة جلسات الشاي اليومية في شقتها التي أجرتها للبنات العاملات الثلاث فتجمعهن كي يتحلقن حولها تعويضا لصورة غائبة تركتها عذرا خلفها بين ثنايا الصحراء الكبرى ، فيخضعن البنات لهذا الطقس و سحره و يُمارسنه معها بكل حميمة و حب ، حيث تحضر عذرا و " تلج الصالة و بين يديها سينية كبيرة نحاسية ، تحتضنها بعناية فائقة و كأنما هي طفل تخاف عليه ، عليها علب من صفيح مُزركشة بألوان و رسومات غاية في الدقة ، علبة الشاي ، و علبة السكر ، و ربطة كبيرة من النعناع و حزمة صغيرة من نبات ' الشهيبة ' ، و مجمر تطقطق جمراته الحمراء الناطقة ، و صحن من البلح . تجلس على الأرض في الوسط تماماً ، غير آبهة ، و كأنها متأكدة أننا سنخرج من غرفنا المطفأة الخرساء للتو .. و كالعادة تبدأ في تحضير الشاي على طريقتها الخاصة ، تضع كمشة من الشاي الأخضر في البرّاد (الإبريق) في الهواء ، حتى كاد تسمع حشرجة حبيبات الشاي بداخله ، و تعيد الماء ليغلي فوق المجمر .. للماء المغلي الفوار سحر لدى ' الحاجة عذرا ' ، أشعر أن بعينيها لذة قصوى و فرحاً عارما ، لا تفتأ تنظر إلى الماء المغلي و هو يئن فوق النار .. تضع قطع السكر الكثير ثم تنتظر قليلاً قبل أن تقلبه في كأس كبيرة عدة مرات ، لتعيده إلى البرّاد و تملأه أخيراً حتى التمام بالماء المغلي ، تفكك ربطة النعناع المنظف ذي الأوراق الحرشاء بتوأدة و حب و اعتناء ، و كلما حركته فاضت منه رائحته المهدئة ثم تضعها جانباً و كأنها تريد أن تنعش رائحتها المكان قبل أن تدسها أخيراً في براد الشاي ذي اللون الفضي ." [44] ، هذه الجلسة المميزة التي تعبر عن أصل الفرد الجزائري بشكل عام و الصحراوي بشكل خاص الذي يستلهم خصوصيته و طاقته الروحية من خلال هذه المظاهر التي تعكس هويتنا و ثوابتنا الأصيلة ، و قد تعمدت الروائية ربيعة تكرار هذه الملامح في رواية ' حنين بالنعناع ' [45] من خلال إعادة طقس تحضير الشاي و استلهامه في جميع مفاصل النص و أحداثه ، إن " إعداد الشاي كان نقطة الارتكاز في حياة أمه اليومية و إطفاء نار غربتها ، ساعة الشاي هي كوة الضوء المفتوحة التي تختبئ فيها بقية ساعات اليوم [...] لالة زهرة التي لم تقع في غواية الطرق الحديثة في تحضير الشاي لم تغتر بالشاي الأحمر ... " [46] .

من خلال ما ورد نلاحظ التفاف الروائية ربيعة جلطي حول أمكنة خاصة مُستمدة من عمق التاريخ الجزائري لها سلطة تاريخية و ثقافية و تراثية نابعة من اليومي و المحلي الذي ينتمي إليه الفرد الجزائري و يستلهم من خلاله فضاءه و انتماءه الأصيل ، و إن كانت

مداخـــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية

هذه اللوحة دائمة الحضور في النص الروائي النسوي الجزائري فإن المكان المحلي العربي الهامشي لصيق بمجموع الأمكنة التي توظفها الروائية في الخطاب السردي العام ، و إن تم الاشتغال على هذه الأمكنة العربية من منطلقين هما :

- استدعاء السرد السير ذاتي الذي يستقطب الظاهرة المحلية و يتعلق بعوالم مملوءة بتفاصيل عديدة تلتقطها عيون الأنثى الخبيرة بالحفاظ على هذه التفاصيل و استعادتها .
- توظيف المكان المحلي العربي لمقاومة الراهن السياسي أو الأيدلوجي الذي يُسلط القهر و المحو للسياق التاريخي و الاجتماعي و الثقافي لهذه الأمكنة فتنبري المبدعة لاستحضار هذه الأمكنة لتقول من خلال نصها أنها موجودة و لازالت راسخة رغم ما يمارسه الراهن من تغييب و تقويض لهذه الأمكنة بفعل الحروب مثل ما يحدث في سوريا تحديداً التي تعيش هذا النوع من القهر الذي يستهدف محوها و المقاومة التي تهدف إلى إعادة إعمار هذا المكان حتى و لو كان تخيلياً .

و قد حاولت الروائية ربيعة جلطي الوقوف على المنطلق الثاني في روايتها ' حنين بالنعناع ' لتوظف المكان المحلي العربي متمثلاً في مدينة سوريا بأسواقها و حواريها و شوارعها و ساحاتها ... ليتحكم في أغلب أحداث النص و ينعكس بعده الثقافي على أفعال و سلوك و حوار الشخصيات التي هي جزء من الأمكنة المحلية السورية ، خاصة في ظل الأزمة التي يعيشها الشعب السوري بما يسمى ثورات الربيع العربي ، هذه المدينة التي رحلت إليها الضاوية الجزائرية لإكمال دراساتها العليا لتعيش في دمشق قائلة عنها " مدينة الغرباء السعداء . أتيتها من " وهران " مدينتي البحرية الفاتنة مرتع طفولتي و صباي مدينة الغرباء أيضاً ، بحرها و أبوابها البرية طريق الآخرين إليها معشوقة كثر من الفنانين في أركان الأرض " [47] ، هذا المكان المحلي الذي يتميز دون عن غيره بأن طعم الغربة " في دمشق لذيذ له رائحة القهوة بالهيل . و له رائحة احتراق المازوت في الجو ، تاركا على مضض الجالسين عند المدافئ و الصوبيات و الساهرين السامرين قربها ، و له رائحة الزيت في مقلاة أبو أحمد بائع الفلافل بطرف شارع عين الكرش ، و له أصوات لا نهائية تتناطح لمطربين و مطربات من كل جيل و نوع تنبعث من النوافذ و الأبواب و المتاجر و الباصات و سيارات النقل الصغيرة و الكبيرة و من راديو بسطة بائع الأمشاط و السجائر و من عربة بائع غزل البنات المتنقل ."[48] لكن ضاع الفرح و حب الحياة في دمشق ليخيم الموت و الدمار على سماء المدن السورية بعد الأزمة ، فـ " باتت رائحة الموت و التشاؤم و الجراح النازفة تلفُّ مدينة الفرح دمشق باتت جلية فوق ملامح الناس و المارة في شارع الصالحية و الحميدية المليئة بالحياة و راكبي الباص و بائعي الأرغفة و بائعي الجرائد ... أضحت المقاهي مهجورة و المطاعم لم يعد بها ذاك الألق الذي كان .. لم تعد تتسلل الأغاني الفيروزية من نوافذ البيوت و أبوابها و كواها مع تسلل خيوط ضوء الصباح [...] ، صمت صوت الموسيقى الزمردي الذي يُعانق هواء الشوام عادة فلا أكسجين يدخل رئاتهم دون أن يكون مُبللاً مُعطراً بالموسيقى. و ساد الصمت الخبيث و الخوف الدفين و الشك في كل شيء ."[49] ، هذا التحول الذي رصدته الروائية من خلال

مداخـــــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية

الساردة – الضاوية – لمدينة دمشق و لامست تحولات المكان عينه بين الأمس و اليوم ، ليبدو لنا المكان المحلي مقاوماً بشكل ملحمي ضد ما يُفرزه المكان من قبح و سرطنة للجمال و استلاب له ، و بذلك حاولت الروائية ربيعة أن تكسر الطابع المغلق للمكان المحلي لتنفتح به على العالم من خلال المظاهر الحضارية و التاريخية التي شكلها نص ' حنين بالنعناع ' فيما يخص المكان الدمشقي و ما يقابله من أمكنة حضارية أخرى كمدينة باريس التي أبرزتها الروائية على نحو مخالف لما تعودناه في الروايات التي توظف المكان الغربي كمكان مركزي لا تشوبه شائبة بل حاولت إبراز الوجه الآخر لباريس الموحش " لفتني باريس في زوبعتها اللامتناهية ، بلا بوصلة تدلني علي ، شعرت أنني لا شيء فعلاً لاشيء في هذا الوجود المخيف الجبار اللامحدود ." [50] ، و تذهب الروائية مسافات أبعد في ترسيخ المكان المحلي من خلال المقارنة بينه و المكان الغربي بإيقاعه السريع و مظاهره المتحولة بقيد الظروف و العوامل ، من خلال تلك المفاضلة التي تعقدها شخصية ابتسام السورية التي نزحت إلى فرنسا خوفاً من تبعات الأزمة السورية ، بقولها:" الرابعة و النصف هو موعد الجميع للمرور بالصالحية ... باب توما في دمشق أليس هو نفسه شانزيليزي باريس ، فرق واحد في الأول يكاد الجميع يعرف الجميع ، الأسر الدمشقية الكبيرة لها ذاكرة فيل ، أما في الثاني لا أحد يعرف أحد أو يحاول أن يعرفه . " [51] .

لكن هذا الاشتغال الذي يبرز المكان المحلي العربي كمكان مقاوم ، يواجهه اشتغال آخر قائم على استدعائه كمظهر من مظاهر السير ذاتي ، لنتساءل ما مدى تعالق المحلي بالسيري في الرواية النسوية الجزائرية ؟ ، في الحقيقة ظهر هذا التعالق بشكل فني و جمالي غير توثيقي أو مباشر في رواية ' السمك لا يُبالي ' [52] للروائية إنعام بيوض التي أبرزت المدينة الدمشقية كمكان محلي عربي أصيل متميز بركام تراثي و تاريخي و ثقافي عريق ، و تصور ذلك من خلال عيون الفتاة نور الجزائرية الصغيرة التي عاشت في أحد الأحياء الدمشقية القديمة سنوات طويلة قبل مغادرتها إلى الجزائر ، و من خلال الميثاق القرائي نلتمس وجود علاقة كبيرة بين السيري و الروائي في هذا النص حيث في هذا الصدد " الكل يعلم أنَّ الروائي يصنع شخصياته من عناصر مستمدة من حياته الشخصية . كما أن الكل يعلم أن هذه الشخصيات هي مجرد أقنعة يحلم الكاتب و يتحدث عن نفسه من خلالها " [53] ، و على هذا الأساس ركزت الروائية إنعام بيوض على توظيف المكان المحلي الذي عاشت فيه طفولتها، القابع في الذاكرة ، و الذي يحفزها و يستثير الأحلام و الأخيلة و الإبداع ، فتستعيد ذكراه و هي بعيدة عنه ، لتمثل المكان الدمشقي المحلي من خلال التداعي النفسي ، لتتجلى دمشق ذلك " المكان المصور من خلال حاجات النفس و تجاربها و ما يحيط بها من أحداث و وقائع ، أي من خلال الحالة النفسية التي يكوِّن فيها الراوي شخصيات روائية ، و ليس المكان المصور كما هو قائم فعلياً ، دون تدخل شعوري و نفسي من الروائي . " [54] .

و قد نقلت الروائية صور عديدة من المكان المحلي الدمشقي عبر حقل التخييل الذاتي ، لتنقل القارئ لتلك الأجواء و تضعه في السياق الحي لها من خلال منحه لوحات بصرية و لونية و شمية و ذوقية حول هذا المكان و تقريبه له بشكل حميمي و تواصلي ، فإذا

مداخـــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية

به هذا المكان هو مكانه إنه يعرفه جيداً و قريب منه و كأنه عاش فيه رغم أنه لم يعيش فيه البتة و منفصل عنه بقارات و بلدان عدة ." أجمل ذكرى مكان كانت دون منازع ذكرى البيت الدمشقي العتيق ، تحت ظل شجرة النارنج و أُصص الفل و الزنبق الأبيض و الياسمين ، الذي كانت ' نور ' و ' ريما ' تلقطانه و تصنعان منه قلائد متفاوتة الطول ، تتزينان بها تِباعاً ، فتبدوان كعرائس تلمسان بأطواق اللؤلؤ المطروحة بسخاء مخجل فوق صدور قفاطينهن المطرزة بخيوط الذهب " [55] ، كما تنقل لنا صورة من أسلوب العيش و طريقة التأثيث في البيوت الدمشقية التي تُؤثث بطريقة خاصة تعكس الثقافة الذهنية عند السوريين و تُعبر عن نمط عيشهم التي تمتد إلى مجال تاريخي و فلكلوري سحيق مُرتبط بشعب يملك مخزون حضاري و تراثي أصيل ، و تنقل الساردة ' نور' صورة هذه البيوت المؤثثة بطريقة خاصة لا تشبه البيوت الأخرى ما يسمها بهوية ثبوتية خالصة " كانت غرفة غريبة عمياء الجدران إلا من واحد شُقّ فيه باب صغير بدرفة ذات مربعات خشبية تؤطر لمربعات زجاجية مختلفة الألوان ، ينفتح على ' مَشْرَقَة ' صُفّت على جنباتها أُصص الفل و البغونيا و القرطاسيا و ' تم السّمكة ' ، و تغطيها عريشة يتسلق جذعها المشذّب من الطابق الأرضي ليرخي سدول أغصان تتلألأ كزينة الأعراس في آواخر الصيف بعناقيد المسكي الثملة . أثاث الغرفة المكسوة بأكملها بالسجاد العجمي ، ينمُ عن ثراء عريق و ذوق أصيل و كأنها استنساخ مصغر لعالم ترف و يُسر مفقودين أكثر ما يُلفت الانتباه هو الساعات الجدارية البرونزية السبع ." [56] ، كما تستذكر السوق و الباعة و الحمام الشعبي و الحارات الضيقة ، و تحاول البحث عن المشترك بين المكانين الهامشيين (المكان العاصمي المحلي و الدمشقي) من خلال عيون ريما الفتاة السورية صديقة نور الجزائرية التي زارت مدينة ' تيبازة الأثرية ' و شعرت بأنها وطنها المفقود التي انطلقت " لتهيم في دروب تلك المدينة العتيقة و كأنها تستعيد ذكريات كانت لها هناك في حياة سابقة ، دخلت في البيوت أعلت جدرانها و رفعت أسقفها و درات في أرجائها و تحسست أشياءها ، ثم خرجت إلى السوق و جالت في دكاكينه و بسطاته و تنشقت روائح التوابل و العطور و تمسحت بأسدال النسيج و تلمظت بمذاق الفواكه و الخُضر ، لتعرج بعدها على المعبد حيث توسطت فناءه و فتحت ذراعيها على وسعهما و أغمضت عينيها و راحت تدور كالدروايش الصوفية ، ثم صاحت بصوت لم تقدر نداه :

– اتركوني هنا ، ها قد عثرت أخيراً على موطني المفقود ! . " [57] .

نتبين من خلال هذه الكتابة السيرية الذاتية التي مارستها الروائية إنعام بيوض التي أضفت على المكان المحلي (الجزائري أو الدمشقي) في الرواية ، و أخرجته من المفهوم المادي المحدود إلى المجال التخييلي و الجمالي ، انطلاقاً من أمكنة حقيقية واقعية ذات طابع قيمي متصل بثقافة عربية أصيلة ممتدة تاريخياً و اجتماعياً .

و بين عبق التاريخ و سحر المكان المحلي ، تُقدم لنا الروائية الجزائرية هاجر قويدري من خلال روايتها المعنونة بـ ' نورس باشا ' [58] منطقة القصبة la casbah ، القديمة إبان فترة الحكم العثماني للجزائر، لتحاول الروائية هاجر استعادة إرثها التاريخي و إعادتها لواجهة

مداخـــــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية

المشهد التراثي للجزائر العميقة ، و مسألة استحضار تاريخ هذه المنطقة و غيرها من المناطق مثل التيطري ، عزيز ... بتراثها الإنساني و المكاني ، و تقديمه للجيل الجديد لم تكن محض صدفة ، إنما هي رغبة صادقة من الروائية في تكريس صورة و ثقافة المكان المحلي الذي كان جزءاً من الجزائر العثمانية آنذاك ، من خلال رصد و توثيق كل ما يتعلق بتراث هذه المنطقة الثري و المتنوع ما يكشف عظمة المكان المحلي ، و عبق السنوات الماضية ، و في كواليسه الكثير من الحكايا و القصص الجديرة بتقديمها للجيل الجديد الذي يجهل الكثير عن تاريخ الأمكنة المحلية و جمالياتها قبل أن تندثر و يطويها الزمن الذي يتقدم حثيثاً و يهدمها بفعل التقادم و السيرورة ، لتنقل لنا صورة الأزقة الضيقة و التنقل فيها يكون بالحمير ، و أصوت المارة و الأطفال و الباعة التي تتسلل إلى نوافذ البيوت العالية و من داخل هذه البيوت تصف لنا الساردة ، بقولها : " ركض عثمان نحو باب خشبي مدهون بالأخضر ، به قبضة دائرية من الحديد المنقوش [...] عرفت الدريبة التي تعني بهو المنزل مباشرة بعد الباب الخارجي ، عرجت على الخيامة التي وجدتها مطبخاً واسعاً به ثقوب نرمي فيها المياه المستعملة من دون عناء نقلها و التخلص منها خارج البيت ، قال عثمان إنها مجاري تحت الأرض ! عرفت أيضا الفرن المخصص للطهو بشكله المخروطي بحيث يسمح بإخراج دخان النار ، نحن في عزيز نطهو خارج المنزل بالمرة اللهم بعض الأكل الذي يتجمر على النافخ [..] أما البرطوز فكان غرفة باردة لا باب لها غير نوافذ طويلة توضع فيها المؤونة و تسمى أيضا بيت العولة [..] أما الغرف فكانت إحداها رحبة مزينة بالجبس و الرسومات أخبرني عثمان أنها ' دار الضياف ' الثانية كانت أقل حجماً و مخصصة على ما يبدو للنوم قم الرجال بحمل الصناديق إلى السقيفة التي تعني المكان الذي يتوسط المنزل ، في وسطها تتدلى شجرة ياسمين ." [59] ، هذه ثقافة المكان التي أثرت في تصميمه و هي بالطبع مختلفة عن عمران اليوم الذي أخذ أشكال أكثر حداثة و معاصرة ، فاختفت البيوت الواسعة التي تنفتح غرفها على بهو فسيح تتوسطه شجرة مثمرة أو نافورة تزيد المكان عبقاً و جمالاً ، لكن تتعمد الروائية التقاط صور سردية لهذه الأمكنة المحلية التي أصبحت مندثرة من ذاكرة التاريخ و ذاكرة الجغرافيا أيضاً .

و كما يُشكل المكان المحلي طرفاً هاماً في البناء السردي ، فإن اللغة في الكتابة الروائية لها مكانة خاصة ، حيث لا يكتسب النص قيمته و تميزه عن باقي الأجناس الأدبية الأخرى إلا في إطار التصور النظري العام للغتها من خلال التشخيص اللغوي و بمختلف البناءات السردية و ما يتوافر عليه من خصوصية " فاللغة هي التفكير ، و هي المتخيل ، بل لعلها المعرفة نفسها ، بل هي الحياة نفسها " [60] ، و هي مرآة عاكسة للمستوى الثقافي و الفكري لجماعة معينة ، وفقاً لهذا التصور تكتسي اللغة أهمية بالغة في الخطاب الروائي ، غير أن دراستنا لا تروم تناول اللغة من حيث أدائها الأسلوبي و الإيقاعي و اللفظي ، بقدر ما نحاول توجيه الاهتمام لمستويات الكلام أو التنوعات اللهجية و ما يَصطلح عليه ميخائيل باختين Mikhail Bakhtine بالتعدد اللغوي ، الذي اعتبر " الرواية ظاهرة لغوية قبل أي اعتبار آخر و يتجلى ذلك في تعدديتها اللغوية ، فقد تشكلت الرواية و نمت بخلاف باقي الأجناس الأدبية الأخرى من

مداخـــــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية

التعددية اللغوية الداخلية و الخارجية " [61] التي تعطي مزيج متعدد من اللغات و اللهجات يُثيره الناص تِبعاً لما يُنتجه المجتمع بأطيافه الثقافية و الفكرية و الشعبية المتنوعة من أشكال لغوية عديدة تعكس التنوع الإنساني و الثقافي و الاجتماعي للعينة التي يحاول الناص نمذجتها في النص .

و قد اهتمت الروائية الجزائرية بتضمين التنوعات اللهجية في نصها السردي لا من باب عجزها على التحكم في آليات اللغة الأدبية المعيارية التي أبانت عن قدرتها في توظيف هذه اللغة و الاشتغال عليها فنياً و جمالياً ، لكن حاولت الروائية الجزائرية استلهام العديد من الأجناس التعبيرية غير الأدبية – خاصة اللهجة العامية – التي تعكس موروث إنساني و حضاري خاص بالمجتمع المغاربي الذي هو عبارة عن خليط أمازيغي و عربي و مسلم ، ما منح اللهجة الجزائرية خصوصية محلية معينة تجعلها مختلفة عن لهجة المشارقة أو حتى لهجات الإخوة التونسيون أو المغربيون ... من حيث ذلك أسهمت الروائية الجزائرية في تقديم هذه اللهجة للقارئ العربي ، و التي تختلف باختلاف الأقاليم الجغرافية و الإثنية ، لتعكس لنا نصوصها لهجة سكان الصحراء مثل رواية ' نادي الصنوبر ' لربيعة جلطي ، أو لهجة الشاوية الأمازيغية في رواية ' مزاج مراهقة ' لفضيلة الفاروق و التي نعتبرها الرواية الجزائرية النسوية المكتوبة باللغة العربية الوحيدة التي أدخلت هذه اللهجة في الخطاب الروائي ، أو لهجة الغرب (سكان وهران) من خلال رواية ' حنين بالنعناع ' لربيعة جلطي ، أو لهجة الشرق (سكان قسنطينة) من خلال رواية ' ذاكرة الجسد ' لأحلام مستغانمي ، كما وظفت الروائية إنعام بيوض اللهجة السورية في روايتها ' السمك لا يُبالي ' ، و غيرها من التشكيلات اللهجية المحلية التي عكست التعدد اللغوي الثري في الجزائر و تقريبه للقارئ المحلي أو العربي و حتى العالمي ، و هذه الزاوية الخاصة هي التي فتحت الآفاق أمام النص النسوي الجزائري للانفتاح على الفضاء الإنساني و الثقافي العولمي ، و من النماذج التي تمثل هذه الخصوصية المحلية الجينية الموروثة ، نضرب بعض الأمثلة على ذلك منها :

- **اللهجة الشاوية (اللسان الأمازيغي)** : تضمنت رواية ' مزاج مراهقة ' [62] لفضيلة الفاروق هذه اللهجة و –كما أسلفنا الذكر – تعدُّ الرواية و الروائية أول من تناول هذه اللهجة في التشكيل السردي للنص ، لتقدمها الناصة كمقول إنساني موروث تأبى أن يضمحل أو تطويه الذاكرة الشعبية في التداول اليومي ، لتقدمها كتشكيل تعبيري أساسي في النص ، عكس العديد من المواقف الاجتماعية و الشعبية لسكان الأوراس ، و من أمثلة ذلك نُعين الآتي من النص الذي تُردف الروائية كل مقطع أمازيغي بالترجمة العربية ، و هي مقاطع حوارية متبادلة خاصة مع العجائز و الشيوخ الذين ظلوا متمسكين بهذه اللهجة دلالة على الرغبة في التمسك بمورثهم اللغوي،و الروائية تستظهر ذلك على نحو أيدلوجي يُرسخ هذه اللهجة في الذاكرة الإنسانية على نحو جينومي:
  – " آشمّي يلّ أو سحّارْ ذايْ (يا بني هل يوجد ساحر هنا) " [63]
  – " ياانا أكّرْ سوكرْ وارْ أجْ يوذان آذ عدّانْ (يا جدة انهضي من الرواق و اتركي الناس تمر) " [64] .

مداخـــــــــــلة:

جينوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية

– " آش هوْ لاَ ذِي إينيتَّاسْ أَيِيقيلْ (يا أبنائي ، قولوا له ، بأن يتركني و شأني) " [65].

و على الرغم من أن هذه التضمين اللهجي لا يُخاطب إلا فئة معينة من القراء الذي يتقنون اللهجة الشاوية إلا أنه أضاف للنص نبرة محلية مرجعية دحضت العزلة عن التشكيلات اللهجية الأصيلة التي تعكس الأصول الحضارية و التاريخية للفرد الجزائري ،و هو ما يُميز الروائية الجزائرية التي تتطلع إلى تأسيس منظور اجتماعي ملتحم بخطابه اللغوي و الفكري و التراثي ضمن النص الروائي.

- **لهجة سكان الغرب (وهران)** : تميز هذه اللهجة المحلية بإيقاعها السريع ، و قد تناولتها ربيعة جلطي في رواية ' حنين بالنعناع ' من خلال شخصية أم الخير البائعة و شخصية أم الخير ' نورمال ' ، و نعين ذلك في المقاطع الآتية :

– " شكون فينا اللي احمق آآآنه ؟! ... شكون ؟! أنا و لا أنتوما ؟

– اشكون الراجل فيكم اللي جاب البلدية حتى ال وهرن ستي آآآنه ... ؟؟ أنا نورمال أنا .. أنا نورمال .. مشي اللعب . " [66] .

– " أممم الآتاي جا هايل زاد النعناع فيه النُص .. واش رايك يا الضاوية ؟ ! . !

– شوفي يالضاوية أنا جيتك و انشلّله ما تردينيش خايبة.بصح عندك الوقت باش تفكري على خاطرك يا بنتي!!"[67]

كما نلاحظ حاولت ربيعة ، توظيف هذه اللهجة لتمثيل فئة اجتماعية و جغرافية محلية معينة تتمثل في سكان الغرب الجزائري من خلال لسانهم من حيث التركيز على مخارج بعض الأحرف و اختصار بعضها أو التشديد على بعضها الآخر ، و هي معايير لهجية تُميز سكان هذه المنطقة بالذات دوناً عن غيرهم تعميقاً بالانتماء و إثباتاً للهوية الخاصة .

زد على ذلك ، اهتمت الروائية الجزائرية باللهجة المشرقية المحلية من خلال توظيف هذا الركام اللساني على نحو معرفي يهدف إلى سد الفجوة القائمة بين المغرب و المشرق العربي ، الذي رغم التقارب الجغرافي بينهما ، لكن يعيش أفراده عزلة ثقافية تمنعهم من الاطلاع على المخزون الإنساني و الثقافي و الحضاري لهما و كأن ما يُفرق بينهما قارات و محيطات ، و قد برز هذا التقارب جلياً في رواية ' السمك لا يُبالي ' ، التي لم توظف اللهجة المحلية على نحو فلكلوري أو تزييني جمالي لمنح النص إيقاع أسلوبي جديد ، بل لإعطاء القارئ ذاكرة نصية و معرفية يفتقر لها ، و من ذلك نعطي بعض الأمثلة الموضحة لما سبق :

– " موْ لا بقْ لهم هالنَّوَرْ . لو جبت كياس خيش كان كتير عليهم . يضرب هالحظ المعَتَّرْ . الله بيعطي العلك للي ماله ضراس . " [68] .

– " تسلميلي شو مهضومة ." [69]

مداخـــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية

– " يا حبيبتي إنتِ ليش حاملة ها السلم بالعرض ؟ لا تشغلي بالك . إنتِ رحْ تتجوزي شب متل القمر ، يحطك بعيونه و يغطيك برموشو ، و يا خذك و تسافروا لبعيد ." [70] .

من خلال ما سبق ، تُعدُّ الرواية النسوية الجزائرية جزء من آداب الشعوب المستعمرة ، تتوق من خلال نصها عبر التخييل إلى تأكيد الهوية و رسم الاختلاف ، من خلال المقاومة الإبداعية التي تعتبر محاولة لنقض المفهوم الكولونيالي للعالمية ، و بديلاً للخطاب القومي الأصولي المتشدد ، لذلك ركزت على اللهجة المحلية كتعبير مهمش تحاول أغلب الكتابات المركزية إقصاءه أو إلغاءه باعتبارها خطاب استراتيجي مقاوم مضاد للاغتراب و وجه آخر للهوية و إثباتها و حمايتها من التكلس ، و على حد قول الناقدة يمنى العيد " إن الرواية مادة لغوية و اللغة مخزون ثقافي يتكلس أو يموت إذا عزل عن اللسان من جهة و عن الثقافات من جهة ثانية " [71] .

من ناحية أخرى ، تستند الرواية النسوية الجزائرية ، على مجموعة من الأسانيد و المقولات الشعبية و التراثية (الأمثال و الحكم ، القصة و الحكاية الشعبية ، الشخصيات التاريخية و التراثية) ، و توظيف العادات و التقاليد و الممارسات الشعبية المحلية (الأكل و المحافل الاجتماعية ، الحمام الشعبي) ، إن استدعاء هذه الأسانيد المحلية في الرواية النسوية الجزائرية لم يتم على نحو كرنفالي أو فلكلوري بل تجاوزه إلى رغبة الروائية في إثارة نوستولوجيا معينة عند القارئ ، و احتفاء بالمظاهر الاجتماعية المحلية الاثنوغرافية بحس نقدي و وعي طوباوي حريص على إعادة التوازن إلى المجتمع المحلي المختل ، بأسلوب جينومي يأخذ من هذه الموارد و توليدها بفعل الولادة و التفاعل ، رداً على العنف المادي و الرمزي الذي تمارسه ثقافة المركز الغازية و مضاهتها ، و تكريساً للخصوصية التي هي معبر للجمالية العالمية ، من خلال استثمار هذه التعبيرات و التشكيلات التراثية و الشعبية التي تروم الروائية عبرها مقاومة النموذج الروائي الغربي من الداخل و الاستفادة منه لانجاز استراتجيات نصية محلية تؤكد القوة الثقافية لهذه الأنساق التي تعدُّ سلاحاً نافذاً و هوية ماكنة للتعبير عن حياة الشعوب و نمط عيشها و تفكيرها ، تتوسل من خلاله الروائية الجزائرية وضع الكتابة النسوية ضمن حيز الفعل و الكينونة و الوجود و المساءلة التي ترمي إلى تصحيح القيم و الأفكار و المقولات الفكرية و الثقافية الكبرى من خلال جينوم المحلية ، لتضع هذه الممارسات التي تُمارس نحو الأنثى محط التساؤل و الاستجواب ، و المطالبة بتصحيحها مقابل ذلك . و قد استلهمت نماذجنا الروائية العديد من هذه الأسانيد المحلية التي أعطت لنصوصهن هوية أخرى مستقلة بعيداً عن الطابع الذي غلب على أغلب النصوص خلال فترة التسعينيات و العشرية التي بعدها فيما تعلق بمعالجة موضوع الإرهاب و مخلفات السنوات الحمراء و السوداء أو موضوع الثورة الجزائرية 1954 ، حيث حاولت الروائية الجزائرية التخلص من شرنقة هذه الموضوعات و طرق قضايا محلية واقعية أخرى لها علاقة بالمعاش اليومي للقارئ ، و التواصل معه و فق أسلوب يرسخ الاختلاف الذي يُميز النص الروائي النسوي الجزائري عن غيره .

مداخـــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية

- **الأمثال و الحكم و القصص الشعبية** : لم تخلو الروايات النسوية الجزائرية من توظيف هذه الأنساق كجزء من قوة المعرفة الإنسانية و الاجتماعية ، تعالج من خلالها قضايا راهنة و تكون بديلاً لتمرير مجموعة من الخطابات المغايرة ، و من ذلك نضرب أمثلة :
  - " خلي البير بغطاه [...] إلا حْطاكْ الجيبْ ما بْقالكْ حْبِيبْ . " [72] .
  - " الطمع ضر ما نفع ! " [73] .
  - " الشْعَرْ في الحلْسة و الرْجَلْ في الهرْكْسَة و بالوجوه يتبارو النْسَا . " [74]
  - غناء شعبي (المالوف الجزائري) " لو ذقت يا غزالي ما ذقت من هواك

    أو قد عملت حالي و ما لقيت في ذاك

    لجـــدت بالوصال يا ســـعده من راك " [75] . أو
  - " يا ديني ما أحلالي عرسو .... بالعوّادة .....

    الله لا يقطعلوُ عادة .....

    و انخاف عليه .... خمسة .... و الخميس عليه . " [76]
- **عادات الأكل و الشرب و المعيشة المحلية** : تضمنت الرواية النسوية الجزائرية عدة صور حية من هذه العادات و الطقوس الخاصة التي أفرزت لنا مشاهد نصية مميزة لا يمكن الوقوف عليها في نصوص أخرى ، نقلتها الروائية الجزائرية بحميمة كبرى ، و من ذلك:
  - " تحضير أكلة " الرشتى" ، بمناسبة عودة جدها من الديار المقدسة . كانت لفائف العجين المفرودة في كل مكان لكي تجف قليلاً ، و تبدأ النسوة في تقطيعها إلى شرائح طولية دقيقة . " [77] .
  - " عادت (أما الزّهرة) بصينية القهوة و بصحن ' الطمينّة ' " [78]
  - و " تلج الصالة و بين يديها سينية كبيرة نحاسية ، تحتضنها بعناية فائقة و كأنما هي طفل تخاف عليه ، عليها علب من صفيح مُزركشة بألوان و رسومات غاية في الدقة ، علبة الشاي ، و علبة السكر ، و ربطة كبيرة من النعناع و حزمة صغيرة من نبات ' الشهيبة ' ، و مجمر تطقطق جمراته الحمراء الناطقة ، و صحن من البلح . تجلس على الأرض في الوسط تماماً ، غير آبهة ، و كأنها متأكدة أننا سنخرج من غرفنا المطفأة الخرساء للتو .. و كالعادة تبدأ في تحضير الشاي على طريقتها الخاصة ، تضع كمشة من الشاي الأخضر في البّراد (الإبريق) في الهواء ، حتى كاد تسمع حشرجة حبيبات الشاي بداخله ، و تعيد الماء ليغلي فوق المجمر .. للماء المغلي الفوار سحر لدى ' الحاجة عذرا ' ، أشعر أن بعينيها لذة قصوى و فرحاً عارما ، لا تفتأ تنظر إلى الماء المغلي و هو يئن فوق

مداخـــــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النـسوية الجزائرية

النار .. تضع قطع السكر الكثير ثم تنتظر قليلاً قبل أن تقلبه في كأس كبيرة عدة مرات ، لتعيده إلى البرّاد و تملأه أخيراً حتى التمام بالماء المغلي ، تفكك ربطة النعناع المنظف ذي الأوراق الحرشاء بتوأدة و حب و اعتناء ، و كلما حركته فاضت منه رائحته المهدئة ثم تضعها جانباً و كأنها تريد أن تنعش رائحتها المكان قبل أن تدسها أخيراً في براد الشاي ذي اللون الفضي ." [79] .

- **اللباس و الحمام الشعبي** : تمت الإشارة إلى طريقة اللباس المحلي التي تصور آصالة الفرد الجزائري و عراقته ، تعميقاً لإحساس هذا الفرد بانتمائه و هويته و حفظ هذه المظاهر في ذاكرة الزمن و المكان ، و قد احتفلت أغلب النصوص النسوية الجزائرية بهذه المظاهر من خلال إبرازها و استعادتها و الحفاظ عليها ، فظهر الزي و برزت احتفاليات الجسد من خلال تدليله ضمن فضاء الحمام الشعبي ، و من أمثلة ذلك نذكر :

– " خيط الروح هذا ..وضعته على رقبتي لكن الباشكاتب خطفه من يدي و قال لي :

لا لا يوضع في الرقبة ، عليك بوضعه هكذا على الجبين بمساعدة المحرمة .. لماذا نزعت محرمتك ؟ كان عبارة عن سلسلة ذهبية تتوسطها ثلاث دوائر منقوشة و مرصعة بالأحجار ، الدائرة الوسطى أكبر حجما تتدلى منها كذلك ثلاث دوائر صغرى ، وضعه على جبيني و ثبته بماسك شعر خاص ."[80] .

– " قامت امرأة ترتدي حائكا حريريا مطرزا على جوانبه بطريقة مكثفة ، فهمت من كثرة ذهابي إلى الحمام أن الحائك المطرز بطريقة مكثفة عند الحواف يدل على الجاه و المال ، و كلما قلّ التطريز كلما قلت مكانة المرأة الاجتماعية . " [81]

– " قبل أن تصلني كلماتك ... كان نظري قد توقف عند ذلك السوار الذي يزيّن معصمكِ العاري الممدود نحوي .كان إحدى الحلّي القسنطينية التي تُعرف من ذهبها الأصفر المضفور ، و من نقشتها المميزة . تلك ' الخلاخل ' التي يخلو منها في الماضي ، جهاز عروس و لا معصم امرأة من الشرق الجزائري . " [82] .

– " توسطت الجميلة عذرا المحتفى به الحضور [...] يشع ثوبها الأزرق اللّماع كأن المرايا تسكنه ، أسقطت منديلها الأسود الفاحم من على شعرها المُحنى . " [83] . و غيرها من الأزياء الجزائرية الأخرى ، أما عن طقوس الحمام :

– " في رزمة قماش جمعت بعض الصابون و الليفة و الغاسول الذي حضره كتونيوس في الحال حيث أضاف هذه المرة البابونج الذي اشتراه من حانوت العطارة القريب منا [...] كان الحمام بالقرب من سوق كبير و قصور

مداخـــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية

عظيمة ، [...] جلست أرضا تماما كما فعلت المرأة التي صادفتها عند المدخل ، و بدأت في نزع ثيابي مثلها ، [...] تعرت تلك المرأة بالكامل ، و لفت على جسدها قطعة قماش وردية اللون مطرزة عند حوافها ."[84] .

– " كعادة مساء كل جمعة أعود إلى سكني تاركاً مقهاي ، عندما تخرج جميع النساء ، و يخلو الحمام من زائراته بسرعة ، أجمع كما اتفق ، في حقيبة صغيرة الصابون و المشط و الفوطة الكبيرة ، و المحكة ، و ألبسة داخلية نظيفة ثم أتوجه متلهفاً إلى حمام سوق لاباستي . [...] أكاد أسمع أصواتهن و أرى حركاتهن ، و هن يدلكن أطرافهن ، و يمشطن شعورهن المبللة ، فيغمضن عيونهن هكذا .. كي لا يؤلمها الصابون ، بينما يطوين أفخاذهن تحتهن أو يربعنها أو يمددنها أمامهن مبسوطة فوق أرضية الحمام الساخنة أو ربما يجلسن القرفصاء . "[85]

بناءاً على هذا التصور ، استطاع الحمام الشعبي الحفاظ على مكانته عبر العصور المتعاقبة لما يعكسه من واجهة اجتماعية و ثقافية و عمرانية ، استقطبت جميع طبقات المجتمع رغم انتشار الحمامات الحديثة ، لكن ظل الحمام الشعبي حاضر في الذاكرة الجمعية و النصية ، ترسيخاً لهذا الفضاء الذي لا يؤدي وظيفة الاهتمام بالجسد الدال على تحضر الفرد الجزائري المهتم بنظافة جسده ، و إنما هو فضاء للبوح و التواصل و عقد الصفقات الاجتماعية كالخطبة و ممارسة طقوس السحر و الشعوذة ..و هو وجه محلي فاعل و متجدد.

- **اختيار أسماء الشخصيات** : على الرغم من أن النصوص النسوية الجزائرية تنتمي زمنياً إلى الفترة المعاصرة التي تفرض واقع معين و سيرورة تاريخية محدد ، لكن الروائيات استقطبن أسماء شخصياتهن من سياق محلي و تاريخي و تراثي و كأنها تعود بنا إلى تاريخ قديم ، يعكس ثقافة الذات الجزائرية ، اقتصاداً للنسيان ، و من ذلك نُدرج بعض الأسماء ، منها :

(الضاوية و أم الخير و حنة نوحة و الزهرة) في رواية ' حنين بالنعناع ' ، (لويزة ، عبد الجليل ، زيتونة) في رواية ' مزاج مراهقة' ، (الحاج طيب ، العبروزي ، العقونة ، زينب ، سعدة) في رواية ' نورس باشا ' .

من خلال ما ورد في هذه الورقة البحثية التي اعتمدت على استخلاص الظاهرة المحلية و التركيز على نسقها الجينومي أو الوراثي المتوالد في ست روايات نسوية جزائرية ، نستنتج الآتي :

- استطاعت الرواية النسوية الجزائرية خلال العقود الأخيرة أن تخلق خطاب روائي مستقل قائم على أنساق فكرية و اجتماعية و ثقافية يُمثل قضاياها و إشكالاتها التي تتخبط فيها ضمن مجتمع ذكوري خالص ، لتختصر نصوصها العلاقة القائمة بين الفرد و مجتمعه و تسلط الضوء عبر أسلوب سردي حميمي مظاهر تلك العلاقة التي تستحضر المجال الإنساني و الحضاري و المحلي و التراثي له بعيداً عن الموضوعات الكلاسيكية التي فرضها الراهن السياسي إبان عقود طويلة كموضوع الثورة الجزائرية و العشرية

مداخـــــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية

السوداء ، حيث نلمح من خلال الإنتاج الروائي الذي يعقب مرحلة التسعينيات ابتعاد أغلبه عن تناول هذه القضايا و تأسيس خط روائي آخر قائم على التماس الهامش و الفضاء المحلي تعبيراً عن صحوة فكرية و ثقافية تتحرر من المقولات المستهلكة .

- تبين لنا من خلال النماذج الروائية النسوية تركيز بعضها على الظاهرة المحلية و ذلك يعود لأسباب و خصائص نابعة من واقع الكتابة النسوية أو من منطلقات الخطاب النسوي بشكل عام ، و نحصر بعضها في :

–مواجهة ما يشهدهُ العالم من تحولات كبرى على جميع الأصعدة و القضايا التي أفرزت إشكالات تستوجب المرحلة التجاوب معها و تفكيكها من خلال الذات الجزائرية التي لم تعد منغلقة على نفسها بل أصبحت تصب في روافد الحضارة الإنسانية و تمدُّ جسر التواصل بين الثقافات المختلفة ، و ترسم معالم و قيم اجتماعية و إنسانية من منطلق خصوصية المجتمع الجزائري .

–إيمان الروائية بأن الخطاب الروائي في عصر العولمة أضحى ميداناً لإثبات الذات و الدفاع عن الهوية و المبادئ الوطنية و الخصوصيات المحلية ، و منبراً تتكلم من خلاله عن المحظور و المحرم ، و مقاومة العنف المادي و الرمزي الذي تسلطه البطريركية التي يعج بها واقعها ، لتساءل سطوة الإرث و تسلط العادات ، باثة من خلال نصها عبر نقد الواقع المحلي و استظهاره الوعي بالتغيير،و ضرورة الانفتاح على العالم مع الحفاظ على المكتسبات الثقافية و التراثية و الحضارية ، ليشكل النص الروائي النسوي الجزائري سرد وراثي قائم بذاته ، يحول الهامش إلى مركز تدور حوله الثقافة العالمية و تتطلع إليه ، و تقديس المدنس و تجميل المستقبح (أمكنة ، أسماء ذوات ، الذاكرة الشعبية الشفهية .... الخ) .

–محاولة الروائية الجزائرية تأسيس الثقافة **الخلاسية** من خلال نصها لإذابة الجغرافيا و الحدود الطبوغرافية ، و ذلك من خلال تبني الجينوم المحلي الذي ساهم في خلق جغرافيات جديدة لا تقوم على الحدود المكانية أو العرقية أو الجنسية ، بل تقوم على أساس المشترك الثقافي و الإنساني ، لتصبح الهوية الخلاسية هي وحدها مبعث تفرد الذات الجزائرية (أمازيغية – عربية – مسلمة) ، و التي تشق طريقها من خلال ذلك إلى العالمية ، و هو ما تحاول الروائية استثماره ، و الدليل على ممارسة هذه الهوية قدرة النصوص الروائية النسوية خرق الحدود الجغرافيا إلى التتويج الإقليمي ثم العالمي على إنتاجهن الأدبي ، و الجوائز التي نلنها دليلنا على ذلك ، لنذكر منها (تتويج رواية ' ذاكرة الجسد ' لأحلام مستغانمي بجائزة نجيب محفوظ للرواية سنة 1996 ، نيل رواية ' اعترافات امرأة' لعائشة بنور جائزة نعمان الأدبية بلبنان سنة 2007 ، تتويج رواية ' نورس باشا ' لهاجر قويدري بجائزة الطيب صالح للرواية العربية 2011)،و الإنتاج الأدبي النسوي الجزائري في سيرورة التطور الذي سيمنحه مستقبلاً التتويجات الكبرى .

و إن كنا سجلنا من خلال دراستنا للنماذج الروائية النسوية الجزائرية التي هي قيد بحثنا ، تذبذبا عند الروائيات في وعيهن أو مدى اهتمامهن بتوظيف المحلي في سرودهن ، و قد يكون ذلك لأسباب عدة :

مداخـــــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النسوية الجزائرية

- عدم الرغبة في وضع الرواية النسوية ضمن القالب المحلي و التراثي و الشعبي ، و إن كانت الروائية تحاول أن تُقدم بعض صور هذا التراث بطريقة انتقائية لتطعيم تشكيلات المنظور السردي و تنويعه فقط .
- طموح الروائية الجزائرية في خلق نموذج نصي مختلف غير موغل في السياق الاجتماعي أو الواقعي و العاطفي و النفسي ، و هذا ما طبع الرواية النسوية بطابع تجريبي خالص .
- عدم وعي بعض الروائيات بأهمية توظيف الظاهرة المحلية التي تُعطي منحة الخصوصية التي تفتح طريق العالمية ، و ذلك قد يعود إلى سلطة الراهن و الواقع و سيطرة بعض القضايا على الساحة الأدبية كموضوع الإرهاب و مخلفاته ، موضوع الهجرة و المنفى اللغوي ، كواليس الثورة و نتائج الاستقلال و ارتهناته التي تُطل على الواقع الجزائري الحالي .
- ابتعاد الروائية الجزائرية عن التوغل في الاشتغال على الظاهرة المحلية خوفاً من " ترييف الرواية " [86] و بلورة نصوصها في سياق دفاعي مُؤدلج .

هوامش الدراسة :

[1] – علي الشدوي ، خرافة المحلية في الأدب السعودي الحديث ... روايات لم تحقق جماليا القبح ، صحيفة الحياة السعودية ، 01/05/2012 ، العدد 17924 ، ص 28 .

[2] – حوار مع الروائية عائشة بنور بتاريخ 2015/03/15 ، متاح صفحة الرواية الجزائرية : www.facebook.com/le roman algérien

[3] – اقتصاد النسيان في رواية " عزوزة " للزهرة رميج ، تقديم و تنسيق : عثماني الميلود ، النايا للدراسات و النشر ، دمشق ، ط1 ، 2014م ، ص ص 43 ، 44.

[4] – يحي بوعزيز ، المرأة الجزائرية و حركة الإصلاح النسوية العربية ، دار الهدى ، الجزائر ، دط ، 2001م ،ص 36.

[5] – المرجع نفسه . ، ص 04 .

[6] – جعفر يايوش ، الأدب الجزائري الجديد التجربة و المآل ، مركز البحث في الأنثربولوجية الاجتماعية و الثقافية ، 2007م ، ص 143.

[7] – المرجع نفسه ، ص 04.

[8] – بشي يمينة ، نضال المرأة في الكتابة النسائية في الجزائر (كتابات ونيسي أنموذجاً) ، حوليات جامعة الجزائر ، العدد 21 ، جوان 2012م ، ص 25.

[9] – زهور ونيسي، من يوميات مُدرسة حرة ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1979م.

[10] – زهور ونيسي ، إلى الشباب ، جريدة البصائر ، ديسمبر ، 1954م ، ع 297 ، الجزائر ، ص 03.

[11] – زهور ونيسي ، جناية أب ، جريدة البصائر ، ديسمبر ، 1955م ، ع 345 ، الجزائر ، ص 07.

[12] – زهور ونيسي ، الأمنية ، جريدة البصائر ، مارس ، 1955 م ، ع 309 ، الجزائر ، ص 03.

[13] – زهور ونيسي ، من الملوم ، جريدة البصائر ، ماي 1955م ، ع 318 ، الجزائر ، ص 03.

[14] – زهور ونيسي ، جلسة مع صديقات ، جريدة البصائر ، أكتوبر ، ع 337 ، الجزائر ، ص 07.

[15] – زهور ونيسي ، الرصيف النائم ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1967م .

[16] – زهور ونيسي ، على الشاطئ الآخر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1974.

[17] – زهور ونيسي ، من يوميات مدرسة حرة ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1979م.

[18] – المرجع نفسه ، ص 16.

[19] – زهور ونيسي ، على الشاطئ الآخر ، ص 17.

[20] – أحمد دوغان ، الصوت النسائي في الأدب الجزائري المعاصر ، مجلة آمال ، ع 04 ، وزارة الثقافة ، الجزائر ، ص 08

[21] – هومي بابا ، موقع الثقافة ، ترجمة و تحقيق : ثائر ديب ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 2006م .

[22] – أ. د صالح عبد العزيز الكريم ، الجينوم البشري ... كتاب مفتوح متاح في :
www.eajaz.org/index.Php/component/content.

[23] – علا عبد المنعم الزيات ، ميلاد علم اجتماع الجينوم ، مجلة البحوث و الدراسات الإنسانية ، جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة ، العدد 10 ، 2015 ، ص 11.

[24] – المرجع نفسه ، ص 20 .

[25] – مارتن هيدجر ، ليفي ستروس ، ميشيل فوكو ، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر ، ترجمة و تحقيق : عبد الرزاق الدواي ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ، ط1 ، 1992 .

[26] – فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زرادشت ، ترجمة : علي مصباح ، منشورات الجمل ، برلين ، دط ، 2007 .

[27] – عبد الوهاب معوشي، الثقافة بوصفها سلطة ،الجزائر نيوز جريدة وطنية شاملة ، الاثنين، 28 ديسمبر ، 2008.

[28] – بيل أشكروفت ، غاريث غريفيت ، هيلين تيفن ، الرد بالكتابة النظرية و التطبيق في آداب المستعمرات،ترجمة : شهرت العالم ، المنظمة العربية للترجمة ،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1، 2006، ص332.

[29] – إدوارد سعيد ،الثقافة و الإمبريالية ،ترجمة : كمال أبو ديب ،دار الآداب ، بيروت ،1997 ، ص 274.

[30] - الآخر كمصطلح هو " سمة الآخـر المائزة هي تجسيده ليس فقط كل ما هو غريب (غير مألوف) أو ما هو (غيري) بالنسبة للذات أو الثقافة ككل ، بل أيضاً كل ما يهدد الوحدة و الصفاء". ينظر : ميجان الرويلي .سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، المغرب، ط4، 2005، ص21.

[31] – هومي بابا ، موقع الثقافة ، ترجمة و تحقيق : ثائر ديب ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 2006م .

[32] – حبيب مونسي ، فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، دط ، 2001 ، ص 18 .

[33] – عبد الله أبو هيف ، جماليات المكان في النقد الأدبي العربي المعاصر ، مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية ، سلسلة الآداب و العلوم الإنسانية ، المجلد 27 ، العدد 01 ، 2005 ، ص 123.

[34] – صالح زياد ، المكان المحلي في الرواية السعودية ، الحياة السعودية ، 2008/03/25 ، العدد 16426 ، ص 30 .

[35] – فارس عبد الله بدر الرحاوي، ثقافة المكان و أثرها في الشخصية الروائية رواية (ليلة الملاك) أنموذجاً ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، المجلد 11 ، العدد2 ، 2011 ، ص 265.

[36] – ربيعة جلطي ، نادي الصنوبر (رواية) ، الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت – منشورات الاختلاف الجزائر ، ط1 ، 2012 .

[37] – المصدر نفسه ، ص 120.

مداخـــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النـسوية الجزائرية

---

[38] – إبراهيم الكوني ، شهادة ذاتية ، الشاه المائة ، مداخلة في ملتقى الأدب و المنفى ، مهرجان الدوحة الثقافي ، جلسة 2007/03/27.

[39] – ربيعة جلطي ، نادي الصنوبر ، ص 136.

[40] – المصدر نفسه ، ص 87 .

[41] – المصدر نفسه ، ص 86 .

[42] – المصدر نفسه ،ص 137.

[43] – المصدر نفسه ، ص 116.

[44] – المصدر نفسه ، ص 08.

[45] – ربيعة جلطي ، حنين بالنعناع ، منشورات الاختلاف الجزائر ، منشورات ضفاف بيروت ، ط1 ، 2015.

[46] – المصدر نفسه ، ص 137 و ينظر ص ص 114 ، 117 ، 142 ، 143 ، 144 ، 145 ،

[47] – المصدر نفسه ، ص 33 .

[48] – المصدر نفسه ، ص 38.

[49] – المصدر نفسه ، ص 45.

[50] – المصدر نفسه ، ص 225.

[51] – المصدر نفسه ، 230.

[52] – إنعام بيوض ، السمك لا يُبالي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2004.

[53] – طراد الكبيسي ، مداخل في النقد الأدبي ، دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع ، عمان الأردن ، دط ، 2009 ، ص 50.

[54] – شاكر النابلسي ، جماليات المكان في الرواية العربية ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، ط1 ، 1994 ، ص 15.

[55] – إنعام بيوض ، السمك لا يُبالي ، ص 46.

[56] – المصدر نفسه ، ص 70.

[57] – المصدر نفسه ، ص 197.

[58] – هاجر قويدري ، نورس باشا ، منشورات ANEP، الجزائر ، ط1 ، 2013 .

[59] – المصدر نفسه ، ص ص 54 ، 55 .

[60] – عبد المالك مرتاض ، في نظرية الأدب ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، الجزائر ، دط ، 2005 ، ص 139.

[61] – ميخائيل باختين ، الخطاب الروائي ، ترجمة : مُحَمَّد برادة ، رؤية للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 2009 ، ص 127.

[62] – فضيلة الفاروق ، مزاج مراهقة ، الفارابي ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1999 .

[63] – المصدر نفسه ، ص 23 .

[64] – المصدر نفسه ، ص 27.

[65] – المصدر نفسه ، ص 27 .

[66] – ربيعة جلطي ، حنين بالنعناع ، ص 107.

[67] – المصدر نفسه ،ص 117.

[68] – إنعام بيوض ، السمك لا يبالي ، ص 63.

[69] – المصدر نفسه ، ص 65.

[70] – المصدر نفسه ، ص 82.

[71] – يمنى العيد ، فن الرواية العربية ، دار الآداب ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1998 ، ص 54 .

مداخـــــــــــــلة:

جينـوم الظاهرة المحلية في الرواية النـسوية الجزائرية

---

[72] – ربيعة جلطي ، نادي الصنوبر ، ص ص 158 ، 159.

[73] – إنعام بيوض ، السمك لا يبالي ، ص 19.

[74] – ربيعة جلطي ، حنين بالنعناع ، ص 20.

[75] – هاجر قويدري ، نورس باشا ، ص 127.

[76] – أحلام مستغانمي ، ذاكرة الجسد ، دار موفم للنشرٍ ، الجزائر ، دط ، 1993 ، ص 423.

[77] – إنعام بيوض ، السمك لا يُبالي ، ص 47.

[78] – أحلام مستغانمي ، ذاكرة الجسد ، ص 131.

[79] – ربيعة جلطي ، نادي الصنوبر ، ص 08.

[80] – هاجر قويدري ، نورس باشا ، ص ص 141 ، 142.

[81] – المصدر نفسه ، ص 88.

[82] – أحلام مستغانمي ، ذاكرة الجسد ، ص 61.

[83] – ربيعة جلطي ، نادي الصنوبر ، ص 17 .

[84] – هاجر قويدري ، نورس باشا ، ص ص 59 ، 60.

[85] – ربيعة جلطي ، نادي الصنوبر ، ص 58 .

[86] – تبعاً لمصطلح ترييف أوربا و هو عنوان كتاب لأحد مؤسسي دراسات التابع لـ ديبش شاكرابارتي ، 2000م .